

الرسالة

مجلة أسبوعية للثقافة والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
نمن العدد ٢٠ ملياً
الاعتراف
يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثالثة عشرة

« القاهرة في يوم الإثنين ٨ رجب سنة ١٣٦٤ - ١٨ يونيو سنة ١٩٤٥ »

العدد ٦٢٤

خليفة نابليون !

لا تقل إن خليفة نابليون يتان ؛ فإن المارشال جنا صارعاً أمام
النازية وجيشه يغم اليادين والمدائن ، وذهبه يتختم الصناديق
والخزائن ، وعلمه يتحقق على مستعمرات مسخرات بأمره ، وخليفته
الغنية القوية تسأله جاهدة أن تصل عمرها بعمره !
ولا تقل إنه ديجول ؛ فإن الجنرال لم يشتهر في أية ملحمة ،
ولم يُعرف بتدبير خطة محكمة . وجملة أمره أنه تشبث يوم المزيمة
بطائرة فهرب ، ثم لجأ إلى لندن وطلب فأعطته لندن ما طلب !
ولكن قل مى : إن خليفة نابليون ووارث بطولته وعبقريته
هو الجنرال أوليفا روجيه دكتاتور فرنسا في سورية ! !

وجهه كوجه البومة عليه صفرة المومياء ، ورأسه كراس
النعامة فيه رعونة الكبرياء ، وشخصه كتمثال الموت في يده
منجل الفناء ، وصوته كنعيب الغراب يردد في أجواز الفضاء :
« أخفق نابليون في استثمار مصر فأنا أستعمر سورية ، وعجز
نابليون عن تدمير عكا فأنا أدمر دمشق ! ! وكان في يد هذا المنور
بقية من عتاد الحلفاء فيها القاذفات والبيات والرشاشات والبنادق ؛
وكان من حول هذا المنور طعمة من عبيد السخايل غلاظ الشافر
سود الأكباد حمر العيون يدرون كالآلة من غير وعي . وكان
إخواننا السوريون قد نظروا في أسرم وأمر هؤلاء فلم يجدوا
لهم منزلة عليهم ؛ فلام قدوة في حسن الخلق ، ولا حجة في صحيح

العلم ، ولا قوة في نظام العالم ؛ وإعظام أمة أسهرتها رواهب
اللاتينية فاستكانت لموامل البلى ، حتى إذا ابتليت بهذه الحرب
انخرعت فلم تقم ، وانعاعت فلم تنهك . فلو كان بينهم وبينها
أسباب من فتح أو عهد لأعادوا النظر فيها بعد انهيارها المخزي ؛
فكيف والسبب الذي انقطع كان أو هن من خيوط الباطل ؟
ولكن مسيح نابليون بصم على البقاء وإن أبدعت الحجة ،
وبصر على المعاهدة وإن قدت الثقة ! فهو يجلب اللعنة ليمزج الندد ،
وينصب المدافع ليحصن المواقع ، ويتحدى حية الغرب الذين كان
آباؤهم يحملون السيوف ليقودوا الأمم ، أبام كان آباء هؤلاء من (النال)
يحملون المص ليقودوا الأمم ! فلم يكن بد من قبول التحدى ،
ووقف السكة الأداة العزل يتلقون برءوسهم قتابل النار ، وبصدورهم
قذائف الرصاص ، دون أن يفروا كما فر في (سدان) خلفاء نابليون
الثالث وهم مدججون بالسلاح محصنون بالمدافع . فاستشهد منهم
على أرض سورية الكريمة العظيمة ثمانمائة وجرح ألفان ! وكاد
أربعمائة مليوناً من العرب يؤججون بأجسادهم هذه النار ليصلي
بها من يشاء الله أن يصلي ، لولا أن رفع الموت من يملك الرفق
والخفص ، فأنخلت قلوب القادة وانخرعت متون الجنود !
ولا والله ما ذهب بأطلا ذلك الدم الذي طهر سورية من
السخيل ، وجمع كلمة العرب وقوتها من شرق دجلة إلى غرب
النيل !

ابن عبد الملك

هذه هي فرنسا ..

للاستاذ سعيد قطب

—>>><<<—

كلما سمعت أو قرأت - بمناسبة حوادث سوريا الأخيرة - أن هذه الحوادث غائفة لتقاليد فرنسا ، ثار في نفسي شعور السخري المريرة من هؤلاء المتحدثين أو الكاتبين ...
تقاليد فرنسا !

ومتى كانت تقاليد فرنسا إلا هذه البربرية المتوحشة ؟ ومتى كان الفرنسيون إلا عشاق المجازر البشرية ، المولعين بالدماء في كل زمان ومكان ؟ حتى في ثورتهم الكبرى التي يعيشون باسمها حتى الآن .

تقاليد فرنسا !

تقاليدها في سورية ، أم في مراکش ، أم في تونس ، أم في الجزائر ، أم في أية بقعة من بقاع الأرض على مدى الأزمان والأجيال ؟

إنني لأستعرض أمامي تاريخ فرنسا في الشرق ، فلا أجد إلا صفحات من البربرية المتوحشة ، وإلا بركاً من الدماء حيث وضعت أقدامها في مكان ، وإلا وسيلة واحدة من وسائل التدمير والتخريب .

في أيام نابليون سلطت المدافع من قلعة الجبل على المصريين ، ودخلت الجنود الفرنسية التبريرة بخيولها الأزهر ، وجرت الدماء في شوارع القاهرة ، وديست كرامة الدين ، وانتهكت الحرمات العامة ... باسم تقاليد فرنسا !

وفي سنة ١٩٠٥ ضربت دمشق بالقنابل ، وأريقَت الدماء في الشوارع ، واعتدت الجنود الفرنسية التبريرة على الآمنين . وضع الشرق العربي للمأساة ، بينما كانت الصحافة الفرنسية تمجد أعمال الوحشية في سورية ... باسم تقاليد فرنسا !

وفي سنة ١٩٢١ وما بعدها وما قبلها أيضاً سالت النساء في مراکش العربية لإرغام الناس هناك على الدخول في المسيحية وترك دينهم الإسلامي ، باسم « الطبير البربري » المرووف جيداً في كل صقع إسلامي ، والذي يشهد بأن دماء الصليبيين

لا تزال تجري في عروق الفرنسيين . ومنذ ذلك الحين بل قبله والزعماء المراكشيون منفيون في المستنقعات الحارة ، وبلغ من الوحشية التبريرة أن تشنل هؤلاء الزعماء السياسيين في رصف الأرض وقطع الأحجار في تلك الجهات الحارة النائية في أواسط إفريقية حتى يصاب بعضهم بالسل ، وبعضهم بالحُمى الصفراء ... وذلك باسم تقاليد فرنسا !

وفي تونس ، وفي الجزائر ، البلدين المريرين اللذين ندعى فرنسا أن ثانيهما « أرض فرسية » تعمل جاهدة على رد أهله عن دينهم بكل وسائل العنف والقوة ... باسم تقاليد فرنسا !
هذه هي فرنسا .

هذه هي في حقيقتها من وراء الأضواء المصطنعة والدعايات البراقة . بل هذه هي حتى من خلال الأضواء المصطنعة والدعايات البراقة . فاهذه الأضواء التي تخدع المخدوعين ، وتطلق أسنة الدعاة ؟ إنها الدعاية الفاجرة ، والتحلل الذميم ، والبهيمية المطلقة ... إنها هي بينها النكسة إلى حياة الحيوانية ، وفوضى البربرية !

ولكن هنا رءوساً وأقلاماً لا تزال تعبد فرنسا ، ولا تزال تتشوق باسم فرنسا !

أولئك بضعة نفر عاشوا في فرنسا فترة من العمر ، فسمحت لهم فرنسا الداعرة بإشباع أقصى لذائذهم الحيوانية ، وتروية أطمأ شهواتهم الحسية ... ثم عادوا فإذا في الشرق بقية من تقاليد وبضعة من حواجز ، فلم يرق لهم ما في هذا الشرق من « رجمية » ! وظلوا يحنون إلى عهد فرنسا الداعر وإلى لذائذها المتنوعة ، وإلى شهواتها المحرمة !

وقليل منهم وجد في فرنسا علماً وفناً - وإن لم يجد لفرنسا قلباً - ففتته العلم والفن عن أقدس المقدسات القومية والإنسانية . فتته عن كرامة الوطن ، وعن حرمة الأهل وعن شرف المرض ... فإذا أحدهم يجادلني في أمر الشرق العربي وقطائع فرنسا فيه فيقول : « إذا لم يكن بد للإنسانية من أن تفقد فرنسا أو أن تفقد هذا الشرق العربي ، فليذهب الشرق العربي إلى الجحيم ! »

هؤلاء نفر منحلون ... وعلامة الانحلال في فرد أو أمة

أن يهون عليه شرف الدرض وحرمة الأهل وكرامة الوطن .
كما هانت على هذا الذي كان يجادلني في أمر فرنسا .

ويقولون لنا حين نجادلهم : إنكم لم تمشوا في فرنسا . أجل
نحن لم نمش في فرنسا ، ولكن فرنسا عاشت عندنا فلم نطلع منها
في يوم من الأيام على صفحة بيضاء ... فهلا أخطأت فرنسا مرة
فأطلعتنا على حقيقة عناصرها الطيبة ؟ !

ويتذرون لفرنسا اليوم في تصرفاتها البربرية بأنها تحس
« مركب النقص » بعد الهزيمة ، فتريد التمويه بمظاهرات
القوة ، وأن سياسة وخز الإبر التي تتبعها معها أنجلترا في الشرق
هي التي تثير أعصابها تلك الثورة الوحشية .

ولكننا نستعرض تاريخ فرنسا في الشرق ، فلا نجد اختلافاً
بين مركب النقص ومركب الكمال ! ، ولا نلمح فرقاً بين فرنسا
الظافرة بعد الحرب العظمى وفرنسا المهزومة في هذه الحرب .

إنها هي هي ... فرنسا المتوحشة في كل حال . فرنسا التي
تدك القاهرة بالقنابل وتمتدئ على حرمة الأزهر وكرامة الدين
في عهد نابليون ، هي فرنسا التي تدك عاصمة الأمويين بالقنابل
في عام ١٩٢٥ ثم في عام ١٩٤٥ .

فأما أن « مركب النقص » هذا طبيعة فرنسية دأمة ، وإما
أننا نحتلق لفرنسا المآذير لأننا منحلون . لا ثور لمرض ،
ولا نقضب لأهل ، ولا تمنينا كرامة ، بعد أن تهبي لنا فرنسا
لنأخذ الحس ، وشهوات البدن ، أو حتى لنأخذ الفكر وشهوات
الوجدان !

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أطلقت قنابلها على القاهرة
وداست بمخيلها مسجداً الأعظم في عهد نابليون

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي مهدت الطريق للاحتلال
الإنجليزي يانسحاب أسطولها من المياه المصرية سنة ١٨٨٢ ،
وترك الأسطول الإنجليزي يهاجنا بعد الخدعة اللثيمة التي خدعها
دى لسبس لمرابي حماية قناة السويس وعدم السماح للأسطول
الإنجليزي بمهاجمة مصر من ناحيتها ، ثم التكت بالعهد ، لأن
فرنسا كانت تبصص بذنها كالكلب ينتظر فئات المائدة في
« الاتفاق الودي » بعد ذلك بأعوام !

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أطلقت قنابلها على دمشق
عاصمة الأمويين مرتين في خلال عشرين عاماً ، بلا مبرر ، وبعد
تذير شنيع

يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي دبرت مؤامرة وحشية
دينية لم تتم لقتل أعضاء الوزارة السورية وأعضاء البرلمان السوري ،
وكان عدم إتمامها راجعاً إلى وقوع وثيقة في يد الحكومة السورية
يجب أن نذكر أن فرنسا هي التي أصدرت أمراً يومياً لقواتها
في سورية بالاستعداد « لمذبحة كبرى » ! وأن قائدها هناك هو
الذي صرح بحبه لمظاهر القتل والدماء !

يجب أن نذكر أن الجزائر وتونس ومراكش تلقى من البربرية
الفرنسية ما لا يلقاه أحد من المالمين من القتل والنفي والتشريد ،
واستخدام الوسائل الخبيثة في تمذيب الرعماء السياسيين
يجب أن نذكر هذا كله ، لنحتقر الثقافة الفرنسية مهما
تكن ، لأن الثقافة تظل أبداً خوفاء إن لم يكن من آثارها تهذيب
الطبع ، وإثارة القلب ، وبث الشعور الأدبي بين المثقفين !

ويجب أن نذكر هذا كله لنحتقر دعاة فرنسا في كل مكان
في الشرق العربي ، وننظر إليهم كما ننظر إلى الأسماك المشوهة ،
والخلوقات المريضة ، فما يرتفع تمجيدهم لفرنسا على تمجيد الشهوة .
ولو كان تمجيد الثقافة التي لا تخرج بالإنسان عن طبيعة الحيوان !
ويجب أن نتهمز الفرصة السانحة لحرق الثقافة الفرنسية في
الشرق كله ، كما صنعت سورية الباسلة ، فتختنق فرنسا في الشرق
بلا قتال !

يجب أن يكون لنا شرف المساهمة في أن تعود فرنسا دولة
صغيرة — كما تستحق — فقد برهنت على أنها لا تستحق غير
هذا يوم جثت على ركبتيها عند الضربة الأولى !
يجب ... وإلا فدعونا من الثورات المؤقتة ، ومن الجمجمة
الفارغة ، ومن الألفاظ الجوفاء !

سيد قطب

قضى استثنائياً بجلسة ٢٣ - ١٢ - ١٩٤٠ في الاستئناف
١٦٨٠٢ بتغريم اسماعيل حسن الدهان جنيهاً لبيعه لحماً بأزيد
من التسعيرة .

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٥ —

—>>><<<—

وجاء في شرح (أمعت) أي أبعدت في الاستقصاء وبألفت فيه ، وكأت في الأصل (معت) وأصلحت .
قلت : ربما كان الأصل (أنعت التفتيش) أو (أمعت في التفتيش) .

في النهاية : وفي حديث صلاة الظهر : فأرد^(١) بالظهر وأنهم أي أطال الإبراد وآخر الصلاة ، ومنه قولهم : أنعم النظر في الشيء أي أطال التفكير فيه .

وفي المحصص ج ٣ ص ٢٩ : قالت الأوائل : إن اليقين هو العلم الثاني أي أنه لا يُعلم ولا يُدرك عن يديه ولكنه بعد بذل الوسع في التعقب وإنعام النظر والتصفح . وفيه ص ٥٢ والرأي الذي لم يُنعم النظر فيه .

وقول الحريري في المقامة الثانية الحلوانية : « أمعت النظر في توسمه » عرف^(٢) ، والصواب ما جاء في مقدمة المقامات : « ومن قد الأشياء بعين المقول وأنعم النظر في مبانى الأصول نظم هذه المقامات في سلك الإقادات » وما جاء في المقامة السادسة الراعية . وفي الخامسة عشرة الفرضية وفي التاسعة والأربعين الساسانية .

وأمن في الأمر : أبعد فيه كما في الأساس ، وفي النهاية : وأمعنوا في بلد العدو وفي الطلب أي جدوا وأبعدوا . ومثل ذلك في كتب اللغة . وفي المقامة الخامسة عشرة الفرضية ، وفيها (أنعم وأمن) : « قال : لأنني أنعمت النظر في التمام ما حضر ، حتى لم يبق ولم تدر . فرأيتك لا تنظر في مصلحتك ، ولا تراعي حفظ صحتك . ومن آمن فبما أمعت^(٣) وتبطن ما تبطن ، لم يكدر يخلص من كلفة مدنفه ... » .

(١) الأبراد ؛ الكسار الومج والحير ، وهو من الأبراد الدخول في البرد (النهاية) .

(٢) يظهر أن التعريف قديم ، فني شرح الصريسي عند هذه النقطة : أمعت بألف وأدعت النظر وأصله من آمن في الأرض إذا أبعد الذهاب فيها .

(٣) فسر الصريسي (أمن) هنا بقوله : أمن أكثر ، وتقول أمن لي بحق : اعترف به وأظهره ، مأخوذ من الماء المين وهو الجاري الظاهر . وهذا التفسير بعيد وهو يخالف شرحه (أمن) في الحلوانية .

* في ج ١٥ ص ١٢٨ : وكتب حسن بن علي الجويني في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسة بالديار المصرية عمرها الله تعالى بدوام العز : وقال المعري وضرب علي بن هلال مثلاً :

طربت لضوء البارق المتعالي ينفداد وهنا ما لم ين ومالي
فيا برق ليس الكرخ داري وإنما

رى في إليه الدهر منذ ليالي
فهل فيك من ماء العرة نفية تفتت بها ظمآن ليس بسالي
ولاح هلال مثل نون أجادها

بماء النضار - الكاتب ابن هلال
قلت : (طربت لضوء البارق المتعالي) (فهل فيك من ماء العرة فطرة) (بجاري النضار الكاتب ابن هلال) (كما في سقط الزند) ويؤيد ذلك قول الشارح في البيت الأول : « الضمير في طربت للأبل ، والمعنى خفت الأبل شوقاً لما رأت البارق ... يعني بارقاً نشأ من نحو أوطانها بالشام وهي بالعراق ... » وقوله في البيت الثاني : « فهل حملت أيها البرق قطرة من ماء بلدي » وقوله في البيت الثالث : « شبه هلال رجب بنون خط ابن البواب (الجويني) بالنضار الجاري أي بماء الذهب » .

* في ج ٧ ص ١٢٩ كان بNDAR^(١) بن عبد الحميد السرخسي الأصهباني يحفظ سبعة قصيدة ، أول كل قصيدة (بانت سعاد) . قال المؤلف : وبلغني عن الشيخ الإمام أبي محمد الخشاب أنه قال : أمعت التفتيش والتفتير فلم أقع على أكثر من ستين قصيدة .

(١) ضبط (NDAR) في الكتاب بكسر الباء وإعلاؤه بضمها .

شدة الخجل . و (جردة) في الجملة هي (جرداء) قال الأساس :
مضى عليهم عام أجرد وجريد وسنة جرداء أى كاملة منجردة من
النقصان . ونقل التاج هذا القول . وفي اللسان : عام أجرد : تام .
و (فيه) في الجملة (فيها) والقائل الإمام البيهقي ، وأستاذة الذي
عناؤه هو تاج القضاة يحيى بن عبد الملك . قال : وكان ملكاً في
صورة إنسان !

* في ج ٧ ص ٢١٧

أقول لما جاء في نَعْيِهِ بعداً وسحقاً لك من هالك
يا شر ميت خرجت نفسه وشر مدفوع إلى مالك
قلت : جاءت (نعيه) بكسر العين وتشديد الياء ؛ وإنما هي
(نَعْيِهِ) بسكون العين وتخفيف الياء ، وإن صح هذان المصدران ،
وصح صدر البيت وحده^(١) .

والبيتان قالهما حُبَيْش بن عبد الرحمن أبو قلابة في الأصمى
لا بلغت وقاته شامتاً به .

قلت : من أمثال العرب : الشهامة لؤم .

* في ج ١٢ ص ١٠٥ ... أخبرني^(٢) أبو علي^(٣) عن
أبي بكر^(٤) عن أبي العباس^(٥) قال : سمعت عمارة بن عقيل بن
بلال بن جرير يقرأ : (ولا الليل سابق النهار) فقلت له :
ما أردت ؟ قال أردت (سابق النهار) فقلت : فهلا قلته . فقال :
لو قلته لكان أوزن أى أقوى وأفصح .

قلت : عبارة هذا بضم العين ، وسابق الأولى المضمومة النونة
هي بضمه واحدة ، وهي قراءة عمارة بن عقيل ، و (سابق
النهار) هما (سابق النهار) بضم سابق وتنوينه وفتح الراء
في النهار .

وقد قرئ^(٦) (قل هو الله أحد الله الصمد) بغير تنوين في أحد ،

(١) الصدر من الرجز ، والبيتان من السريع .

(٢) القائل ابن جني .

(٣) الفارسي .

(٤) ابن دريد .

(٥) للبرد .

وأمن فعل لازم وأنسم فعل متعد .

* في ج ١٤ ص ١٦٦ كان أبو الفتح بن العميد قد أغرم
قبل القبض عليه بإنشادهذين البيتين ، لايحجف لسانه عن ترديدهما :
ملك الدنيا أناس قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
وزلناها كما قد زلوا ونخلها لقوم غيرها
قلت : في البيت : (ونخلها لقوم بعدنا) فغير السامع .

* في ج ١٠ ص ١٥٤

والهر إذ مات غاريد قد مد أيديه إلى بله
وجاء في الحاشية : في الأصل (غاريره) فجعلت غاريد ،
واحدها غرود ، وكان يطلق على ملك بابل ، فلما تجبر وتكبر
حين دعاه الخليل إلى التوحيد صار يستعمل في كل متكبر جبار ،
كفرعون اسم لكل من ملك مصر ثم استعمل في الشخص
التصنف بالجبروت :

قلت : غاريره . في التاج : « التحريز - بالكسر -
الحاذق الماهر الماقل المحرب ، وقيل : الرجل الطين^(١) »
الظن البصير بكل شيء مأخوذ من قولهم : نحر الأمور علماً .
والجملة الأخيرة في الأساس في مجازة . والبيت ختام مقطوعة
للحسين بن محمد الدياس المعروف بالبارع ، ومقطوعته :

أفنت ماء الوجه من طول ما

أسأل من لا ماء في وجهه
أنهى إليه شرح حال الذي

يا ليتنى مت ولم أنهه
فلم يبتلى أبداً وفده ولم أكد أسلم من جبهه
* في ج ١٣ ص ٢٢٢ وخضت في المناظرة والمجادلة سنة
جيرة رضى عن نفسى فيه ، ورضى عن أستاذى .

وجاء في الشرح : يقال : سنة جردة : خالية من النبات
فكأنه يقول : لم أشتغل بغير الجدول والمناظرة .

قلت : قالوا : أرض جردة ، وقالوا : سنة جارود : مقحطة

(١) في الأساس : هوطين : عالم .

والجيد هو التتبع كما قال (الكشاف) .

« في ١٢ ص ١٥٩ وله (البيان بن عيسى النبطي آيات

بحسن في قوافيها الرفع والنسب والحفص (مطلها) :

إني امرؤ لا يصطيني (م) الشادن الحسن القوام (ما)
رفع القوام بالحسن لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل والتقدير
الحسن قوامه كما تقول : مررت بالرجل الحسن وجهه ، ونمسه
على الشبه بالفعل به ، وخفصه بالإضافة .

وجاء في شرح (مصطبي) : كانت في الأصل يعطى لى ،
واليتب بها ينكسر ، يقول : إن الشادن الذي هذه صفة ليس
في مكتته أن يعملى على الصبوة إليه ، والفعل مزيد بناء الاتصال
أبدلت طاء .

قلت : لا يطئني . في الأساس : طباء واطباء : دعاء
واسمائه . ومثل ذلك في الصحاح واللسان والتاج . وفي أمالي

النالي والنهاية : « إن مصعبا (مصعب بن الزبير) أظلي القلوب »
وفي القسورة الدريدية :

لا يطئني طمع مدنس إذا استمال طمع أو اظي
وفي طبعة (الجواب) : يطئني . فاختل بالهمز الوزن ،
واستحال الفعل ...

« في ج ١٤ ص ٢٢٧ واستدعى ابن عباد من أسفهان
وولي الوزارة وديرها برأى وثيق ، وحيد رتيق .

وجاء في شرح رتيق : من رتيق الشيء جعله يلثم بعضه
مع بعض .

قلت : لا رتيق في العربية . واللفظة المحرفة هي (زنيق)
والزنيق المحكم الرصين يقال : رأى زنيق وأمر زنيق أى وثيق ،
وكذا تدير زنيق كما في التاج . وفي الأساس : ومن المجاز :
ورأى زنيق : محكم ، وتقول : هذا تدير أنيق ، ورأى زنيق .

العالم الديمقراطي كما رأيته

تأليف رحالة مصر الكبير محمد ثابت



رحلة ممتعة يقصها علينا المؤلف بأسلوب شيق يذكرنا
بالمشهورين من رجال الرحلات العرب كابن بطوطة وابن
جبير والبروني ، فالقارئ يتبعه مستأنسا بمخلال رحلاته في
بريطانيا وإيرلندا وأستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة
وكندا والصين وسد يأجوج ومأجوج وغيرها من بلاد الله
الثمن ٣٠ قرشاً عدا أجرة البريد ويطلب مع جميع مطبوعاتنا
من السكاكب الشهيرة ومكتبة فيكتوريا الإسكندرية

شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٢ شارع الشيخ محمد عبده بجوار الأزهر

تليفون ٥١٣٢٢ - ص . ب النورية رقم ٧١



أكبر المطابع العربية وأشهرها

بها أعظم استعراة لنشر المؤلفات

الحديثة والمكتبة القديمة

٢ - حول انهيار فرنسا

لأستاذ عربي كبير

ولنترك مسائل الدخ والإطراء والثناء جانباً ، ولنعد إلى أصل القضية ونسأل ما ذا كانت أسباب انهيار فرنسا ، هذا الانهيار السريع الذي يكاد يكون غائياً ؟ ...

فن أبسط وأسهل الأجوبة التي تخطر على البال رداً على هذا السؤال هي أن فرنسا لم تكن مستعدة للحرب .

وفي الواقع أن هذا التعليل قد سيطر على الأذهان والأقلام ، سيطرة غريبة . فإن معظم الذين كتبوا وعالجوا هذا الموضوع عللوا الانهيار بعدم الاستعداد . والبعض منهم جعلوا من « عدم الاستعداد » هذا دليلاً على حسن الطوية وتبل الغاية .

فقد قرأت بين ما قرأته من المقالات حول هذا الانهيار في المجلات المصرية ، هذا الحكم البتار :

« ما غلبوا إلا لأن الديمقراطية التي يعتقدونها لا تفكر إلا في السلم ولا تتسلح إلا بالعهود والمواثيق والقوانين والشرف ، وأن الديكتاتورية التي يعادونها لا تفكر إلا في الحرب ولا تتسلح إلا بالحديد والنار والدعاية والحياة والكذب »

أنا لا أستطيع أن أسلم بصحة هذا الرأي ، بالرغم من احتراي الشخصي لصاحبه ؛ فلنستعرض الأعمال العسكرية والسياسية التي قامت بها فرنسا منذ انتصارها في الحرب العالمية النصرمة : إنها استولت على مراكن من جهة ، وعلى الشام من جهة أخرى ، وجردت الحملات العسكرية على مختلف النواحي في أوربة وآسية ، وأمريقية : حاربت الأتراك ، حاربت العرب ، حاربت الروس بعد الهدنة ، اشتركت في احتلال قسم من البلاد الألمانية ، وأقدمت بمفردها على الاستيلاء على قسم آخر منها ؛ ساعدت دول بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا في تسليحاتها وتنظيماتها العسكرية ، وقتلت أحابيل الحلف الكبير والحلف الصغير ، وأخذت تدبر دفة السياسة الأوربية بصوت مسموع ومكانة مرموقة . وأثقت مبالغ طائلة في سبيل تشييد « خط ماجينو » على طول الحدود الألمانية ،

ورصمت البلاد السورية والمراكشية بمدد كبير من الواقع العسكرية ... فكيف يجوز والحالة هذه أن نقول إن فرنسا لم تفكر إلا في السلم ، ولم تتسلح إلا بالعهود والمواثيق ؟

العهود والمواثيق ؟ هل أحترمها فرنسا - مثلاً - في سياستها السورية ؟ ألم تكن أعمالها هناك - من أولها إلى آخرها - سلسلة حركات تتلخص في القوة والعنف دون أن تنقيد بالمواثيق والمواثيق ؟ ...

فالعامل الأصلي في الانهيار لم يكن عدم الاستعداد للحرب . وعلى من يخافه أدنى شك في هذا الباب أن يرجع بذكرته إلى أوائل الحرب الحسالية . ويتذكر ما كان يسمعه وما كان يقرأه من الآراء والأخبار حول قوة فرنسا العسكرية : فكنا كنا نسمع كل يوم مقارنات طويلة عريضة ، بين خط ماجينو وخط سيجفريد ، مقارنات تنتهي بوجه عام بالدخ والإطراء على الأول وبالقدح والازدراء بالثاني . كل يوم كنا نسمع ونقرأ أخباراً شتى كلها تؤكد تفوق اندفعية الفرنسية على الدفعية الألمانية وتبرهن على تفوق الطيران الفرنسي على الطيران الألماني ...

ولا حاجة للبيان أن مصادر هذه الأخبار والدعيات كلها كانت فرنسية ...

وكل شيء يدل على أن فرنسا كانت « تعتقد » أنها مستعدة للحرب أتم الاستعداد ، وأنها ستنتصر بدون ريب . وإلا لما أقدمت على إعلان الحرب ، ولأوعزت إلى بولندا بوجوب التساهل مع ألمانيا في قضية دانزيغ والمر ، ولا نكبت بعد ذلك على إتمام استعداداتها ؛ غير أنها لم تفعل ذلك ، بل بالعكس شجعت بولندا على المقاومة ، وانضمت إلى بريطانيا العظمى في توزيع « الضمانات » إلى اليمن واليسار ، وعلى القريب والبعيد ، ممن يطلبها أولاً يطلبها من الدول ... فلا مجال للشك في أن فرنسا كانت مغرورة بقوتها ومخدوعة في قوة عدوتها ..

من المعلوم أن القوة من الأمور النسبية ؛ فالقوى بالنسبة إلى شيء ، قد يكون ضعيفاً بالنسبة إلى شيء آخر ، والغلط في التقدير في مثل هذه الأحوال قد ينتج من غلط في تقدير القوة نفسها ، أو في غلط في تقدير القوة المقابلة لها ، أو من غلط في كلا الأمرين ... إن سير الوقائع يدل دلالة قطعية على أن فرنسا أخطأت خطأ فاحشاً في تقدير قوة ألمانيا ...

وجرتهم إلى الحرب والاضطدام مع قوى تفوق قواهم تفوقاً عظيماً ... وأدت بذلك إلى انخراطهم في الانحلال السريع .

والآن ، بعد أن حدث ما حدث فظهرت الحقائق للبيان ، تبين بصورة لا تترك مجالاً للشك أن الجيش الألماني الذي هاجم الجيش الفرنسي ، كان يفوقه تفوقاً عظيماً من جميع الوجوه المادية والمعنوية . كان يفوقه تفوقاً بارزاً من حيث العدد والتجهيزات والانضباط والقيادة ... وبتميز أقصر ، من حيث الكمية والكيفية ...

من المعلوم أن ألمانيا كانت جردت من السلاح ، وحُرمت من حق التسليح بعد الحرب العالمية ، فظلت عرومة من الأسلحة ومن صانعها مدة تزيد على عشر سنوات ، فعندما بدأت تسليح مؤخراً - سرّاً في بادئ الأمر ، وعلناً في نهاية الأمر - لم تنفذ بشيء من القديم - بطبيعة الحال ... فاستحضرت أنواعاً جديدة من الأسلحة الحربية ، وابتكرت أنواعاً جديدة من أساليب الحرب . ويظهر أنها كانت تمكث من ابتكار أنواع عديدة ، فاستفادت من كل نوع منها في إحدى صفحات حروبها التتالية في بولندا ، وفي الروماني ، وفي هولندا ، وعندما جاء دور هجومها على فرنسا استطاعت مفاجأتها بوسائل وأساليب حربية أخرى ، أفندت على الجيش الفرنسي جميع الخطط التي كان قد وضعها ...

وزد على ذلك أن الجيش الألماني الذي اقتضى على الجيش الفرنسي بمثل هذه الوسائل الحربية الجديدة ، كان متفوقاً عليه تفوقاً كبيراً من حيث العدد أيضاً . وإذا بحثنا أسباب هذا التفوق العددي نستطيع أن نذكر أموراً كثيرة منها مساعدة الموقع الجغرافي ، وسير صفحات الحرب ، وكثرة وسائل النقل ، ونظام خطط التعبئة .. وما أشبه ذلك من العوامل والأسباب ، غير أننا - مع كل ذلك - نضطر إلى التسليم بأن السبب الأصلي يعود إلى كثرة العدد ؛ إذ من المعلوم أن عدد نفوس ألمانيا يناهز ضعف عدد نفوس فرنسا ، فلا غرابة ، والحالة هذه أن يتفوق جيشها على جيش فرنسا تفوقاً كبيراً من حيث العدد أيضاً .. وبما يجدر بالاتباع أن قضية عدد السكان كانت من القضايا التي أخذت تشغل بال الفرنسيين وتزعجهم منذ مدة غير يسيرة ، فإن

فيجدر بنا أن نسأل إذاً : لماذا أخطأت فرنسا كل هذا الخطأ الفاحش في تقدير قوة عدوتها ؟

إنني أعزو سبب ذلك إلى انخداع فرنسا بأقوال اللاجئين الموترين الذين هربوا من ألمانيا أو طردوا منها ... وقد فتحت فرنسا أبوابها لهؤلاء ، وأرادت أن تستفيد منهم ومن شكواهم ودعائهم في إثارة الرأي العام العالمي ضد ألمانيا وإسالتها نحو فرنسا ... في حين أن القسم الأعظم من هؤلاء اللاجئين كانوا من الطفيليين الموترين الذين لا يرتبطون بأى وطن من الأوطان المتيدة ارتباطاً قليلاً ، ولذلك أخذوا يصورون ألمانيا على غير حقيقتها ؛ صوروا النظام الجديد الذي قام في ألمانيا بصورة مجموعة من التعسف البربري تقوم بها جماعة من الطغاة فيكرهها جميع الناس . قالوا إن كل الناس ينفرون من النازية نفوراً شديداً ويستعدون للثورة عليها استعداداً كبيراً . كلنا سمعنا انعكاسات هذه الأقوال والدعيات . ألمانيا على أبواب ثورة داخلية ستندلع نيرانها قريباً فتجرف المحتلة جرفاً عنيفاً ... كل شيء ردىء هناك ، حتى المعادن التي تصنع منها الأسلحة ، حتى الأنتم الذي يستعمل في بناء الحصون لم يكن من الأنواع الجيدة ...

لقد فتح الفرنسيون أبواب بلادهم لمئات الألوف من هؤلاء الموترين على مصراعها ، كما فتحو آذانهم لسماع دعاويهم ودعائهم ، وصاروا يصدقون كل ما يقولونه ، ولا سيما أن ما يقوله هؤلاء كان موافقاً لما يتمناه الفرنسيون كل التمني ... وأنا أميل إلى الاعتقاد بأن ذلك كان من أهم الأسباب التي أدت إلى انخداع فرنسا في تقدير قوة عدوتها ، وأدت بها إلى الانكسار الفظيع ...

فقد أفاضت الجرائد كثيراً في ذكر أعمال الذين سماوا باسم « الطابور الخامس » وببحث كثيراً عن الدور الذي لعبته الجمعيات التي كانت تقوم بدعايات متسترة - على حساب ألمانيا - ويهيئون بذلك الجو النفسى اللائم لعمل الجيوش الجرارة غير أنني أقول : إن عمل أرتال اللاجئين في فرنسا لم يكن أقل تأثيراً من عمل الطوابير الخامسة في النتيجة النهائية . فإن أرتال اللاجئين الموترين أضروا فرنسا من حيث كانوا يريدون خدمتها ؛ وخدموا ألمانيا من حيث كانوا يعتقدون إضرارها ... لأن دعائهم خدعت الفرنسيين خدعة قوية في قوة ألمانيا ،

التفوق على أعدائها من جهة النفوس أيضاً
غير أنه مما لا مجال للشك فيه أن الجيوش التي تجمع من
أعلى المستعمرات - ونساق إلى ساحات الحروب سوقاً ومحمل
على رخص غمار الحرب - دون أن تشعر بدافع باطنى يحجب
إليها الاستقلال ، أن مثل هذه الجيوش لا يمكن أن تتكافأ والجيوش
الوطنية التي تعمل وتحارب بشعور وطنى وإيمان قوى ...

وأما الاتفاقات السياسية - فقلما تستقر على حال ؛ فلا
تستطيع أن تضمن المستقبل في جميع الأحوال ، لأن منافع الدول
والأمم معضلة أعضاء شديداً ، ومتشاككة تشاككا كبيراً . فإذا
رأت دولة ما أن من مصلحتها أن تتفق مع دولة أخرى في بعض
الظروف ، فقد ترى من مصلحتها أن تلزم الحياد ، أو تتفق مع
غيرها عند تبدل الظروف . إن نظرة بسيطة إلى تقلب الاتفاقات
السياسية وتطور التكتلات الدولية تكفى لإظهار ذلك للبيان ...
هذه إيطاليا ، فقد انضمت إلى فرنسا وإنجلترا ، ضد روسية
في حرب القرم ، ثم اتفقت مع ألمانيا ضد فرنسا بعد استيلاء
الأخيرة على تونس ؛ ومع هذا لقد انضمت إلى أعداء ألمانيا
خلال الحرب العالمية ، وفي الأخير عادت واتفقت مع ألمانيا ضد
أعدائها في الحرب الحالية ...

وهذه إنجلترا ، فقد حاربت فرنسا في عهد نابليون ، ثم اتفقت
معهما ضد روسيا في حرب القرم ، ثم اتفقت مع اليابان فشجعتها
على محاربة الروس بعكس ما عملته فرنسا عندئذ ، ثم اتفقت مع
فرنسا وروسية ضد ألمانيا في الحرب العالمية ، ثم حاربت روسيا بعد
انتهاء الحرب المذكورة ، وفي الأخير بذلت الجهود الجبارة بالاتفاق
معهما قبيل الحرب الحالية . وكذلك الأمر في علاقات إنجلترا
مع تركيا فإنها كانت على الدوام يوماً لها ويوماً عليها ...

ونحن نستطيع أن نذكر عشرات الأمثلة لذلك ... مما يدل
على أن مثل هذه الاتفاقات لا توجد موازنات مستقرة - بين
تطور المنافع وتقلب الاتجاهات ...

ولذلك كله سارت الأمور خلال الحرب الحالية سيراً
غريباً - بالرغم من الاتفاقات والضمانات السابقة - وقد أدى
هذا السير إلى بقاء الجيش الفرنسى - في آخر الأمر - وحيداً
إزاء الجيش الألماني في ساحات الحرب ... فازداد بذلك تأثير
التفوق العددي زيادة هائلة ... (من)

الاحصاءات الموجودة تدل على أن نفوس فرنسا كانت مساوية
لنفوس ألمانيا سنة ١٨٦٥ غير أنها لم تزد بعد ذلك خلال سبعين
سنة - أى حتى سنة ١٩٣٥ - إلا ثلاثة ملايين ، في حين أن
نفوس ألمانيا - زادت - خلال المدة نفسها - أكثر من
ثلاثين مليوناً ...

لا شك في أن قضية النفوس وحدها لا تكون من القضايا
الحاسمة في سير التاريخ ؛ فإن التاريخ يرينا أمثلة كثيرة من تقلب
الأمم الصغيرة على بعض الأمم الكبيرة ، بالرغم من قلة عدد نفوسها ،
غير أن مثل هذه الحوادث لا تحدث عادة إلا عندما يكون هناك فرق
عظيم بين الأمتين ، من حيث مستوى الحضارة والثقافة ، وشدة
الروابط الاجتماعية وقوة الإيمان القوى ... وأما إذا كانت الأمتان
متقاربتين من هذه الوجوه الثقافية والاجتماعية - كما هي الحالة
في فرنسا وألمانيا الآن - فنن الطبيعي أن تكتسب قضية النفوس
خطورة خاصة ، وتؤثر في سير التاريخ تأثيراً كبيراً .

فقد اتبته عدد غير قليل من الكتاب والفكرين في فرنسا إلى
الخطر الذي أخذ يحرق بيلادهم من جراء نقص عددها ؛ حتى إنه ظهر
بينهم من قال : يجب أن نعلم بأننا في كل سنة من السنين التي تمر
علينا على هذا المتوال نخسر معركة ونفقد جيشاً دون أن نقدم على
حرب ودون أن نشعر بهذه الخسارة ، في حين أن ألمانيا - بعكسنا -
تربح في كل سنة معركة وتحصل في كل سنة على جيش جديد ،
دون أن تقدم على حرب ودون أن تضحي شيئاً في سبيل ذلك ...
إلا أن الأمور ظلت على حالتها هذه بل زادت خطورة من
خبراء التدابير المتخذة في ألمانيا في هذا السبيل - لقد وضعت
ألمانيا عدة قوانين واتخذت عدة تدابير لضمان تكاثر النفوس - زيادة
على سيره المعتاد - في حين أن فرنسا لم تخرج عن ساحة النقد
والبحث في هذا المضمار ، ولم تقدم على وضع قانون يعالج هذه
القضية الحيوية بعض العلاج إلا قبل اندلاع نيران الحرب الحالية
كان يأمل رجال السياسة في فرنسا التقلب على الشاكل
والخطاير التي تنجم عن مسألة النفوس بوسيلتين غير مباشرتين .
الأولى - التجنيد من المستعمرات ، وتقوية الجيش الوطنى
بجيش المستعمرات .

الثانية - تكوين اتفاقات سياسية وعسكرية تربط فرنسا بكتل
كبيرة قوية ، تكفى للرافة نقص النفوس الأصلى ، بل تضمن

الشعر بحرى الشعراء الآخرين ، فمدح وهجا وتقرّل ورثى
ووصف الخ .

وقد قال أبو العلاء فى مقفمة سقط الزند :

« وقد كنت فى ربّان الحداثة ، وجنّ النشاط ، ماثلاً فى
صفو القريض ، أعتدّه بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب
البليغ . ثم رفضته رفض السّبق غرسه ، والرّأل تريكته ؛ رغبة
عن أدب معظم جيّده كذب ، وردبته ينقص ويحبّ . »

وقال مستطلى أبى العلاء الذى كتب ثبت كتبه كما رواه
ياقوت فى معجم الأدباء :

« ومن غير هذا الجنس كتاب لطيف فيه شعر قيل فى الدهر
الأول يعرف بكتاب سقط الزند وهو ثلاثة آلاف بيت . »

وفى سقط الزند قصائد قالها فى بغداد ، وأخرى أرسلها إلى
بغداد بعد رجوعه إلى المرة سنة أربعمئة ، وأبيات قيلت بعد سنين
كثيرة من اعتكافه فى المرة كالبيتين اللذين مدح بهما القاضى
ابن نصر المالكي^(١) . فإن هذا القاضى مر بالمرة فى طريقه من
بغداد إلى القاهرة ، ولم تطل إقامته بمصر ، فتوفى بها سنة اثنتين
وعشرين وأربعمئة ، فقد نظم العرى هذين البيتين حوالى سنة
عشرين وأربعمئة . ومرثية جعفر بن على بن المهذب التى مطلعها :

أحسن بالواجد من وجده صبر يُعيد النار فى زنده

والجموعة الثانية هى التى سماها « لزوم ما لا يلزم »

— ٢ —

هذه المجموعة الثانية من أشعار أبى العلاء قد نظمت بعد
رجوعه من بغداد . وقد خط خطتها ، وتكلف لها ما تكلف من
لزوم ما لا يلزم ، ومن استيعاب الحروف الهجائية على الحركات
الثلاث والسكون . قال فى مقدمتها :

« كان من سوائف الأفضية أنى أنشأت أبنية أوراق توخيت
فيها صدق الكلمة ، ونزّهتها عن الكذب والنّيط . ولا أزعها
كالسّمط التّخذ ، وأرجو ألا تحسب من السّميط . فتها ما هو
تمجيد لله الذى شرف عن التّمجيد ... الخ »

وقال فى المقدمة كذلك :

لزوم ما لا يلزم

متى نظم وكيف نظم ورتب ؟

للدكتور عبد الوهاب عزام

عبد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

—>>><<<—

عنيت بأبى العلاء العرى ناشئاً ، وكتبت فى أخباره وأشعاره
تليداً . وما زلت معنياً به حافظاً لأخباره وأشعاره . واللزوميات
أعظم آثار الرجل ، وهى سجلّ عقائده وآرائه ، ولها النصيب
الأوفر من أحاديث من يتحدثون عن العرى ، وكتابة من يكتبون
فى فلسفته .

وكثيراً ما سألت الأدباء وسألت نفسى : متى نظمت اللزوميات
وكيف رُتبت ؟ أخط الشاعر خطتها ثم نظمها ولاءً على ترتيب
حروف الهجاء ، فأراؤه فيها متوالية على هذا الترتيب ؛ ما تضمنه
أبيات على روى المعزة مقدّم زماناً على ما يذكر فى أبيات على
روى الباء وهل جراً ؟ أم نظم الرجل ما نظم ثم رتبته على حروف
الهجاء ، فقدّم متأخراً وأخر متقدماً ، مسيرة للترتيب الهجائى ؛
فما يُعرف التّقدم والتّأخر من شعر الرجل إلا ما دلت عليه حوادث
مذكورة فيه ، ولا يستطيع تتبع أفكاره ورعاية تطورها على الزمان ؟
وكنت أقول إنه لا بد لمؤرخ أبى العلاء من أن يفصل فى هذه
القضية ، فيجزم بأن اللزوميات مرتبة على الزمان أو غير مرتبة .
لذلك أعدت قراءة اللزوميات مستوعباً ، متقصياً الأبيات
التي تذكر فيها حوادث معروفة أو رجال معروفون ، والتي تذكر
فيها سنّ أبى العلاء أو حاله من الشباب والكهولة والشيخوخة .
ودرجت ما أراه التاريخ من أخبار الرجل ، وذكر كتبه ،
فأنهت إلى التّصانيف التى أسجلها فيما يأتى :

— ١ —

متى نظمت اللزوميات

جمهرة شعر أبى العلاء فى مجموعتين : الأولى تتضمن شعر
الصبا والشباب ، وهى التى سماها سقط الزند . وقد جرى فى هذا

(١) والمالكي ابن نصر زارنى سفر بلادنا غداً السأى والسفرا

إذا تفقه أحياء مالكا جندلا وينصر الملك الضليل إن شعرا

« وقد تكلفت في هذا الكتاب ثلاث كُلف :

الأولى : أنه ينظم حروف المعجم عن آخرها

والثانية : أن يجيء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك

والثالثة : أنه لُزم مع كل روى فيه شيء لا يلزم من ياء

أو ناء أو غير ذلك من الحروف »

فهذا شعر حُدّد موضوعه واختير له نظام في القوافي ،

وترتيب على الحروف وحركاتها ، وكأنه كتاب من كتب العلوم

اتصل تأليفه حتى كل ، وهي خطة تسلي بها المرى في عزله ،

فينبى أن يكون تاريخه متصلاً ونظمه متوالياً

وأنا أدعى أن ما تضمن هذا الكتاب من الآراء هو فلسفة

أبي العلاء في عزله بعد ستة أربعمائة ، وأن هذا الكتاب كله ،

إلا أن تشد أبيات قليلة ، نظم بعد هذه السنة .

يدل على هذا أن أبا العلاء قال في مقدمة السقط : إنه رفض

الشعر . وقال في مقدمة اللزوميات : « وقد كنت قلت في كلام

في قديم : إنى رفضت الشعر رفض السقب غمره ، والرأى تريكته ،

والنرض ما استجيز فيه الكذب . واستمين على نظامه

بالشبهات . فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للتوسن ،

وأمرأ بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبلوا على النش

والمكر ، فهو إن شاء الله مما يلتبس به الثواب »

فهذا النظم الذى توخى فيه العظة والإيقاظ كان بعد النظم

الذى جرى فيه مع الشعراء ، ثم رفضه رفض السقب غمره ،

والرأى تريكته كما تقدم

ودليل آخر أنه ذكر سنّه في كثير من أبيات اللزوميات

تصريحاً وتلويحاً ، ولم يذكر ما دون الأربعين ، وهو قد بلغ

الأربعين سنة ثلاث وأربعمائة إلا يوماً واحداً في هذه القائمة :

إذا هبت جنوب أو شمال فأت لكل مقتاد جنيب

رويدك إن ثلاثون استقلت ولم ينب الفتى فتى ينب ؟

والخطاب في هذا البيت إما أن يكون لغير الشاعر ، وإما أن

يكون بعض اللزوميات قد نظم حين جاوز الثلاثين قبل سفره إلى

بغداد ، وإما أن تكون هذه القطعة نظمت كذلك بعد رجوعه

من بغداد واعتزاه الاعتزال ، وكانت سنّه حينئذ سبعمائة وثلاثين

سنة ، فقد مضت الثلاثون ولم يبلغ الأربعين ؟ فليس بعيداً أن

يدكر مرور الثلاثين . ومهما يكن فجمهرة الكتاب نظمت بعد

سنة أربعمائة كما أسلفت .

ودليل آخر على أن أبا العلاء شرع ينظم اللزوميات بعد رجوعه

من بغداد بقليل ، أنه يذكر في اللزوميات - كما فعل في سقط

الزبد - رحلته إلى العراق آسفاً على الرحيل وعلى الأوبة . وهذا ،

في غالب الظن ، لا يقال بعد مضي سنين كثيرة على هذه الرحلة :

وما بى طرق للسير ولا السرى لأنى غرب لا تضىء لى الطرُق

أغرباً نك السُحم استقلت مع الضحى

سوانح أم مرّت حاتمك الوُرُق

رحلتُ فلا دنيا ولا دين نلت وما أوتيت إلا السقاة والخرق

يا لهف نفسى على أنى رجعت إلى هذى الديار ولم أهلك ببغداد

إذا رأيت أموراً لا تواقفى قلت الإياب إلى الأوطان أدّى ذا

شُئمت يا همّة عادت شامية

من بعد ما أوطنت عصراً ببغدادى

- وأزيد على هذه الأدلة أن أبا العلاء ذكر سن الأربعين مرات

في اللزوميات ، وقد بلغها بعد رجوعه بسنين ثلاث

- ٣ -

إن كان المرى شرع ينظم لزوم ما لا يلزم حين رجوع من

بغداد أو بعد رجوعه بقليل ، فكم استمر ينظمها ، ومتى انتهى

من نظمها وجمعها ورتبها وكتب لها المقدمة التى كتب ؟

يمكن أن نجيب على هذا السؤال بوسيلتين : الأولى تتبع الحادثات

التي ذكرها الرجال الذين أورد أسماءهم في شعره ؛ والثانية استقراء

الأبيات التى ذكر فيها سنّه

(١) المخارات والرجال :

١ - أولاً : بنو عامر وطية

يذكر أبو العلاء فتناً وخطوباً أثارها بنو عامر وطية في

السام وما حولها ، ويسمى بعض رجالهم في مواضع كثيرة ، منها :

إذا عامر نبعت صالحاً وزجت بنو قرّة الجردبا

قال في القصيدة الثائية التي بعث بها إلى علي التنوحي بعد رجوعه من العراق :

يبنى وبينك من قيس وإخوتها فوارس تذرانكثار يسكتينا
ويقول في القصيدة الطائية التي أرسلها إلى خازن دار العلم ببغداد وهو محتجب بعمرة النعمان :

وما أذهلتني عن ودادك روعة وكيف وفي أمثالها يحب القسط
ولا فتنة طائفة عامرية يحرق في نيرانها الحمد والسبط
وقد طرحت حول الفترات جرائها

إلى نيل مصر فالوساع بها تقطو
فوارس طمانون ما زال للفنا

مع الشيب يوماً في عواضهم وخط
وكل جواد شفته الرقص فيهم وجع يتمنى أن فارسه سقط
ونبالة من بخت لو نعدوا بليل أناسي النواظر لم يخطوا
فما هذه الفتن التي ذكرها أبو العلاء ومتى كانت ؟

عبد الوهاب عزام

(بيح)

وأردف حسان في مائج متى هبطوا نخصباً أجديا
وإن قرعوا جبالاً شاعراً فليس يُعنف إن يحدبا
رأيت نظير الدباب كثرة فتيرهم كميوت الدباب
ومنها :

ألم تر طيئاً وبني كلاب سوا للداد غزاة والمرس
ولوقدروا على الطير النوادي لما سهضت إلى ذكر برنس
ويذكر طيئاً وزعيمها حسان في قوله :

قد أشرعت سنبس ذوابلها وأرهفت بختها معايلها
لنتنة لا تزال باعثة راعها في الوغى ونابلها
حسان في الملك لا يحس لها تزيجي إلى موتها قنابلها
ويقول :

أرى حلياً طازها صالح وجل يسنان على جلقا
وحسان في سلقى طيئ يصرف من عزه ألقا
فلما رأيت خليلهم بالغبار ثغاما على هامهم علقا
رمت طمع الرملة المستظام فأصبح بالدم قد خلقتا الخ
وقد رثي للرملة كثيراً وحزن لها ناب أهلها ؟ يقول :
والرملة البيعاء غودر أهلها بعد الرفاعة يأكلون قفارها

عتروا الفوارس بالصوارم والقنا

والملاك في مصر يعتز فارها (١)
جعلوا الشفار هواديا لتتوفة مرهء تكحل بالدجى أشفارها
نكبو زناد القادحين وعامر بالشام تقذح مرخها وعفارها
ويقول :

أيا قيل إن التارصال بحرهما مقيم صلاة والمهند وارس
وبالرملة الشعاء شيب وولدة أصابهم مما جئت الدهارس
وقد ظهرت أملاك مصر عليهم فهل مارست من ظلمها ما عارس ؟
وأحسن منكم في الرعية سيرة طنج بن جف حين قام وارس
وقد ذكر العري هذه الحادثات في سقط الإند كذلك ، إذ

(١) الملك في مصر كان للفاطيين حينئذ وكان الخليفة منهم الظاهر (٤١١ - ٤٢٧) فهو يلوم الفاطيين على أن تركوا هذه القبائل تبيت في الأرض ولم يأمروا بتبديل فارات الملك بتطبيعها بها لا بقتل الفوارس والقر النزع .

بيلي والعبيط وبجي

هي قصة اليوم
قصة النفس الحائرة
قصة الأديب الشقي السعيد
قصة الحياة كما هي
قصة الضحك والبكاء

دار المعارف للطباعة والنشر في ٢٧٢ صفحة
نمها ٢٥ قرشاً - تولى نشرها المؤلف
تطلب من : مكتبة المعارف ، والنهضة ، والانجلو ، والأهلية ،
والن تجارية ، وغيرها .
المؤلف : الياس عكاوي ١٧ شارع نؤاد الأول القاهرة
تليفون ٤٣٩٠٩

فئة كتاب :

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ

للوزير السيد أبي الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي

الاستاذ برهان الدين الداغستاني

—•••••—

كنت أظن أن اسم « يتيمة الدهر » وقف على كتاب أبي منصور الثعالبي المعروف ، حتى عثر منذ سنوات في خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا — على رسالة صغيرة الحجم بمسماة يتيمة الدهر للوزير السيد أبي الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي رضي الله عنه .

وهذه الرسالة في ٦١ ورقة مكتوبة بخط نسخي جميل مشكول وكل صفحة في أحد عشر سطراً ، وعلى الرغم من شدة عناية المرحوم تيمور باشا بمخطوطات خزانته ، وحرصه الزائد على ذكر مؤلفيها وبيان عصورهم وطبقاتهم من تراجمهم — لم أجد في فهرس الخزانة ما يكشف الفطاء عن شخصية مؤلف هذه الرسالة ، وأخذت أقلب الكتاب لملأ أجد في ثناياه ما ينم عن هوية مؤلفه فلم أجد إلا تلك العبارة المبطنة في رأس الصفحة الأولى منه وهي :

« كتاب يتيمة الدهر . بسم الله الرحمن الرحيم . قال الوزير السيد أبو الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي رضي الله عنه : الحمد لله العلي الكبير ، القوي القدير ، العليم الخبير ، السميع البصير ... إلى أن يقول : أما بعد ، فإن أحق ما نطق به لسان ، وأعرب عنه بيان ، وانطوى عليه كتاب ، وانتهى إليه خطاب ، ما زاد في قوة البصيرة ، وعاد بصحة السريرة ، وطرق طرائق العدل ، وبين حقائق الفضل ، فصارت ذكراً للأخيار ، ومزجراً للأشرار ، وقوة لأولى الأبواب والأبصار ، وإماماً للعالم ، وقواماً للأعمال ، يرجع إليه الساسة ، وتبني عليه السياسة ، وتنظم به الأسباب ، وتتجمع فيه الآداب .

وإن الأدب أنبان : أدب شريعة ، وأدب سياسة ؛ فأدب الشريعة ما قضى القرض ، وأدب السياسة ما عمر الأرض ،

وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان ، وعمارة البلدان ، وصلاح الرعية ، وكامل الزينة ، لأن من ترك القرض ظلم نفسه ، ومن خرب الأرض ظلم غيره » . في مقدمة طويلة على هذا النسق من سجع قصير غير متكلف استغرق ثمانى صفحات من الأصل إلى أن يقول في آخر المقدمة : « وقد جمعنا من إنشائنا في كتابنا هذا الفاظاً وجيزة ، وأجربناها بحرى الأمثال ، وفصولاً قصيرة قد حملناها عمدة اللوالة والعامل ، وعدة للعقلاء وذوى الأعمال ، وقصدنا فيها أفناء من ذلك وجه الاختصار ليقل لفظه ، ويسهل حفظه ، وجمعناه ألف فصل ومثل في ثمانية أبواب :

الباب الأول : في الاستعانة على حسن السياسة

الباب الثاني : في الاستعانة على فضيلة العلم والعمل

الباب الثالث : فيما يستعان به على الزهد والعبادة

الباب الرابع : فيما يستعان به على أدب اللسان

الباب الخامس : في الاستعانة على أدب النفس

الباب السادس : في الاستعانة على مكارم الأخلاق

الباب السابع : في الاستعانة على حسن السيرة

الباب الثامن : في الاستعانة على حسن البلاغة

واستعنا فيما وضعناه من ذلك بالله الجليل ، وهو حبيبنا ونعم الوكيل » .

ثم قام أحد الناشرين بطبع هذا الكتاب ، وكتب له أحد كبار رجال القضاء الشرعي مقدمة نفيسة ، وصرح كاتب المقدمة بأنه لم يعثر على ترجمة المؤلف ، ولم يشر إلى أن هذه الرسالة طبعت قبل هذه المرة

والواقع أن هذه الرسالة قد طبعت في القاهرة من نحو خمسين سنة ، وإذا أردنا التحديد قلنا : إنها طبعت سنة ١٣١٧ هـ بمسماة بغير اسمها ، منسوبة إلى غير مؤلفها ، فقد طبعت على هامش كتاب « تراثنا وحل المقد » لأبي منصور الثعالبي ، وسميت « كتاب الفرائد والقلائد » ، ونسبت إلى أبي منصور الثعالبي أيضاً ، وذلك بالطبعة الأدبية بسوق الخصار القديم عصر سنة ١٣١٧ هـ ، ثم طبعت هذه الرسالة مرة أخرى بعنوان « كتاب الأمثال المسمى بالفرائد والقلائد » ، وسمى أيضاً بالمقد النفيس وزهة الجليس » ،

كنت أبليت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ، ثم إن
لى فى آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد نظمت حاشيتى
البر والبحر ، وركبت الأفواه ، ووردت المياه ، وسارت فى البلاد ،
ولم تسر بزاد ، وطارت فى الآفاق ، ولم تسر على ساق ، ولكنى
لا أتسوق بها لديكم ، ولا أتفق بها عليكم . وللاخرة قلبها
لا للحاضرة ، وللدن ادخرتها لا للدنيا

قال : أنشدنى بعضها فقلت :

يا لمة ضرب الزمان على معرستها خيامه
لله درك من خزاى روضة عادت تنامه
لرزية قامت بها للدين أشرط القيامة
لضرج بدم النبوة ضارب بيد الأمامه
تقم بظلمة السيوف مجرع منها حمامه
مع الورود وماؤه منه على طرف التمامه
نصب ابن هند رأسه فوق الورى نصب العلامه
إلى آخرها ، وهى قصيدة فى نحو خمسة وعشرين بيتاً كلها على
هذا الطراز

قال البديع : « فلما أنشدت ما أنشدت ، وسردت ما سردت ،
وكشفت له الحال فيما اعتقدت ، أنحلت له العقدة ، وصار لهما ،
يوسعنا حلماً »

هذا كل ما وجدته عن السيد أبى الحسين ، ومنه يظهر مكانه
فى العلم والأدب ، كما يعلم أنه من معاصرى البديع والخوارزمى
ومقارعهما ، وأنه كان موجوداً فى أواخر القرن الرابع الهجرى
حتى أن تعرف : هل هذا السيد الذى قص البديع الحمذاني
خبره - هو الوزير السيد أبى الحسين بن أحمد بن الحسن بن على
رضى الله عنه صاحب كتاب بقيمة الدهر ؟ .

ذلك ما لا شيل إلى الجزم به الآن ، ولعل فى قراءة « الرسالة »
الفراء من يعرف عن كتاب « بقيمة الدهر » ومؤلفه السيد
أبى الحسين أكثر مما نعرف . فإلى أولئك أوجه الرجاء أن يتفضلوا
بنشر ما لديهم من المعلومات مشكورين .

برهان الدين الراغبى

ونسب فى هذه المرة أيضاً إلى أبى منصور الثعالبي . وهذه الطبعة
مطبوعة فى مطبعة التقدم التجارية بحارة المنبة رقم ١٠ بشارع
محمد على بمصر وليس عليها تاريخ الطبع

وهكذا فقد طبع هذا الكتاب مرتين - ولعله طبع مرات
أخرى لا نعرفها - مسمى بغير اسمه الحقيقي - ونسب إلى غير
مؤلفه فى كلتا المرتين ، حتى عثر على نسخة الخزائن التيمورية ،
معرفة أن اسمه الحقيقي هو « بقيمة الدهر » ، وأن المؤلف هو
الوزير السيد أبى الحسين بن أحمد بن الحسن بن على رضى الله عنه .

بقى أن نعرف من هو السيد أبى الحسين صاحب كتاب « بقيمة
الدهر » ؟ وفى أى عصر عاش ، وما هى مكانته الأدبية ؟

لقد أطلت البحث عن ترجمة للسيد أبى الحسين ، وبدلت
كثيراً من الجهد والوقت ، ولكن حياة هذا السيد الكريم
ما زالت غامضة خفية . لم أستطع كشف القناع عنها ، فإنى مع
كثرة ما بحثت وراجعت من المراجع لم أجده للسيد أبى الحسين
ذكر إلا ما ورد فى رسائل بديع الزمان الحمذاني فى سياق تلك
المنظرة التاريخية التى وقعت بين البديع والخوارزمى فى نيسابور
سنة ٣٨٣ هـ ، فقد ذكر البديع الحمذاني باسم السيد أبى الحسين
أكثر من مرة واحدة فى أثناء كتابته لتفصيلات تلك المناظرة ،
وذكر أن السيد أبى الحسين كان أحد شهود المناظرة المحكمين ،
وأنه كان يناصر الخوارزمى ، وأن الخوارزمى كان يلجأ إليه ويحضره
بالحديث والائتمات فى الجلسة الأولى للمناظرة ، فلما كان المجلس
الثانى احتال البديع على السيد أبى الحسين ، واستأله إلى جانبه
بقصيدة أنشدها فيها فى مدح أهل البيت والتشجيع لهم ، واستمع
إلى البديع حيث يقول : « ... ثم حضر السيد أبى الحسين وهو
ابن الرسالة والأمامة ، وعامر أرض الوحي ، والمحتب بفناء النبوة ،
والضارب فى الأدب بمرقه ، وفى المنطق بمحذقه ، وفى الإنصاف
بمحسن خلقه ، فجلس إلى المجلس قد سيفه ، وجمل يضرب عن هذا
الفاضل - أبى بكر الخوارزمى - بسيفين لأمر كان قد موه عليه ،
وحديث كان قد شبه لديه ، وفطنت لذلك فقلت : أيها السيد !
أنا إذا سارغيرى فى التشيع برجلين ، طرت بمجنحين ، وإذا كنت
سواى فى موالاة أهل البيت بلحمة دالة توصلت بفرقة لأئمة ، فإن

البلاغة العصرية

واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحرفي

—•••••—

موضوع الكتاب — اسم على غير معنى — الأسلوب التلغرافي —
اللغة العربية وحرية المرأة — البلاغة والنطق — لتنا حرية استقرائية
عقيدية — دار العلوم والنطق — دار العلوم والاصلاح اللغوي —
دار العلوم للعلمين — أبو تمام والشافعية

— ١ —

لم يكذب يفرغ الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات من دفعه
النصف المجيد عن البلاغة حتى أخرج الأستاذ سلامة موسى
هذا الكتيب . ولقد يتوسم قارئه أنه محاولة موقفة لتجديد
البلاغة العربية ، أو نقد ونقض لبعض أسسها القائمة ، لكنه
إذا ما أتمه دهم من انقطاع الصلة بين العنوان والمعنون ، فليس
فيه تجديد ولا نقض ، اللهم إلا الدعوة إلى أن تجارى لمتنا عصرنا ،
وتعاشى حياتنا ، وهى دعوة قديمة قال بها عبد العزيز الجرجاني
وعبد الكريم النحاشي وغيرهما ، وإنما اثر المؤلف في بحثه سواح
هنت له في نشأة اللغة ، وعلاقتها بالمجتمع ، وضرر اللغة ، والتفسير
الاقتصادي للغة ، والنصحي والعامية الخ ، فن المغالطة أن يسمى
كتيبه بهذا الاسم ، ومن المغالطة أن يعقد فصلا عنوانه (فن
البلاغة) ولا شئ فيه من فن البلاغة ، فهل من البلاغة العصرية
ألا تدل الكلمات على مسمياتها المبهودة ؟

— ٢ —

كرر في بحثه الدعوة إلى الأسلوب التلغرافي « وكذلك نحن
تتبع الأسلوب التلغرافي ، وتخير الكلمة التي تحمل المعنى فضلا
عن المعنى » ص ١٩

فإذا يريد به ؟ إنه يريد أن يكون الأسلوب خالياً من الروعة
والبراعة والجمال والموسيقى ، فلا يجتاز من أسلوب الخطاب المعتاد

التداول في الشئون اليومية . يريد ألا تنفوت الموضوعات والناسبات
وأقدار الأدباء والقراء ، يريد (الاشتراكية) في اللغة كما قرر في
مواضع أخرى ، ويتجاني ما تقرره البلاغة وعلم النفس من أن
الأسلوب صدى لما في نفس منشئه ، فلا نفعال القوي لا يعبر عنه
إلا أسلوب بلاغة قوة . والاشغال الهادى لا يوائمه إلا أسلوب
يشا كله دقة ، والامانات كلها نعيأ أحيانا عن تصوير المواطن
بكلاتها الوضعية ، فلا مندوحة للأديب من اللجوء إلى الخيال
وأفانين الجمال .

وإذا كان هذا رأيه الذى طالما دعا إليه ، فلماذا لم يأخذ نفسه
به ؟ ما له . لا يلتزم الأسلوب التلغرافي الذى يدين به ؟ ثم ما له
لحاً إلى تكرير المعاني في هذا الكتيب ؟

على أنا إذا آثرنا الأسلوب التلغرافي فقد جحدنا ما خلفه أدباء
العالم كله من تراث فنى . ونظير إذا لازيات والنقاد والجارم
وبرناردشو وأندريه موروا وأضراهم أن يحطموا أقلامهم ،
أو يغيروا أساليبهم ، وهيهات هيهات !

وليس من الصواب الفصل بين الأسلوب والمعنى ، فهما جزء
واحد ، وهما معاً قسيان في إثارة القارئ ومجاوبته للأديب ، أو
شعوره بالتمتع الفنية ، وهما معاً شريكان في التعبير عن خبائثات
الأديب وعواطفه ، والأسلوب التلغرافي لا يحقق كل ذلك .

ولذا عرف يوفون الكتابة الجيدة بأنها « التفكير الجيد
والشعور الصادق والإيابة المتأزجة مجتمعة معاً » وفي رأى يوفون
أيضاً أن « متانة الأسلوب ليست إلا ملائمة لطبيعة الموضوع ،
وهى تتولد تولداً طبيعياً من معنى الموضوع نفسه » ، وهكذا كان
يوفون غلما عند ما يكتب في التاريخ الطبيعى ، وسهلاً يستخدم
الألفاظ الشائعة في رسائله إلى أصدقائه المقربين (١) .

والأستاذ سلامة يناقض نفسه إذ يقول في ص ١٧ « ويمكننا
أن ننظر إلى اللغة النظر الفنى فنشد بالكلمات والجل رفاهية ذهنية
لا تؤيدها الثقة العلمية » وفي هذا رد على دعوته إلى الأساليب
التلغرافية ، إذ الرفاهية الذهنية ليست إلا ثمرة للروعة في التعبير ،
والإبداع في التصوير ، والفحولة في التفكير .

(١) يوفون والأسلوب . الرسالة العدد ٦٠٨

- ٣ -

« ثم انظر إلى ما ورثنا من المجتمع العربي القديم بشأن المرأة فقد أتى هذا المجتمع المرأة من الحياة الاجتماعية إثناء يكاد يكون تاماً ، أما نحن فقد « رددنا الاعتبار » للمرأة المصرية ؟ ولكن مازلتنا نستعمل الكلمات القديمة فنقول « أم فلان » أو « حرم فلان » ولا نذكر الإسم ، مع أن الإسم جزء من الشخصية وإهماله هو سبب للمرأة ... وإهمالنا لإسم المرأة هو تراث لنفوس قديم يحمل إلينا عقيدة اجتماعية يجب أن نكافئها » ص ٤٩

وليس في هذا شيء من الحق ، فإن الإسلام قد رفع من شأن المرأة ، واختصها القرآن الكريم في كثير من المواضع بالخطاب ، ومحبتها الشريعة حقوقها كاملة ، وبحسبنا أن الشريعة الإسلامية لم تحرمها التصرف في مالها الخاص أو الميراث إذا تزوجت ، ولم تجعل لزوجها سلطاناً على مالها ، مع أن القانون الفرنسي ما زال يعتبرها ناقصة الأهلية ، فيتصرف زوجها في مالها كما يتصرف المولى أو الوصي في مال القاصر ، وليس لها حق التقاضي إلا بإذن زوجها .

ثم إن الشريعة الإسلامية منحت المرأة حرية اختيار زوجها ، وأجازت أن تكون المصعة بيدها . وقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام أرقى المثل في إعزازها والمحبب عليها ورد الاعتبار لها بأفعاله وأقواله ، وطالما تنبى الشعراء بحبها والزلقي لها ، وطالما أسهمت في الحركة الأدبية والعلمية والسياسية بنصيبها ، وطالما سُمي الرجال بأسماء أمهاتهم وبناتهم ، فليس بصواب أن المجتمع الإسلامى - ودينه الإسلام - انتقص حقوق المرأة وحقر من شأنها كما ادعى الاستاذ .

وهل تناسى الأستاذ أن أوروبا بعد ذلك المعصر كانت تسوم المرأة الفلة والهلوان ؟ وأن أوروبا كانت تتجادل في حقيقة المرأة إنسان هي أم شيطان ؟

ولا تحقير للمرأة في أن تطلق عليها « أم فلان » ، وإنما فيه تكريم لها ومسرة واعتراف بالفضل ، إذ أنجبت ، وأدت وظيفتها الأولى في الحياة . ولا تحقير لها في أن نهكى عنها بحرم فلان ؛ لأنها في عصمتها ورعايته وحمايته ، وهى تعلم أن الزواج شرفها

وحليتها وأملها ، وهل المجتمع العربى العاصر يحقر المرأة ؟ وإلا فلماذا يطلق عليها مسز فلان وليدى فلان ومدام فلان ؟ ومن لطائف برناردشو في ذلك أن سيدة قالت له : إن الرجل قد سلب المرأة حقوقها ، فقال لها : بل سلبته هى كل شيء حتى اسمه - - -

« يجب أن يكون المنطق أساس البلاغة الجديدة ، وأن تكون مخاطبة العقل غاية المثلى بدلاً من مخاطبة العواطف » ص ٥٦ وهذه فكرة عاسفة تهدم أساس الثمروالنثر والفنون الجميلة عامة ؛ لأن الفنون وليدة العواطف ، واستجابة لتوازع نفسية لا صلة للمنطق بها ، ولو أنا أخضعت كثيراً من النصوص الأدبية التى تروفتا للمنطق لوجدناها هباء .

فكلنا نحب بقول النخيل البشكرى :

وأحبها وتحنى وحب ناقها بعيرى
ونظرب لقول جيل :

لكل حديث ينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد
وبروعنا قول المتنبي :

تسود الشمس منا ييض أوجها

ولا تسود ييض المسد واللم
وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكنا من الدنيا إلى حكم
وههنا قول شوقي :

وجواهر التيجان ما لم تتخذ من معدن الدستور غير صحاح
وأى منطق فى هذا ؟

لو أنا اتخذنا المنطق وحده دعامة للأدب لا نلج إلى حقائق جافة لا خيال فيها ولا جمال ولا سحر ، ولكن أخرى به أن يسمى علماً لا أدباً ؛ لأن خصيصة الأدب فى لغات العالم كلها أن معانيه خيالية ، وليس معنى هذا أنها بمنزلة عن منطق الحياة ، أو فيها خلط واضطراب ، وما زال العالم يكبر ما خلقه هوميروس واليونان من تراث ، وأى منطق فى أبطالهم وأعمالهم الخوارق وهم آلهة وأنصاف آلهة ؟

- ٤ -

« لفتنا لا نغشى المعارف المصرية ؛ لأنها قضت شبابها

— ٧ —

« أبناء دار العلوم هم الذين تخصصوا في اللغة ، وتخصصهم حرمهم من دراسات بشرية عدة ، فضاعت آفاقهم وتنجرت لغتهم ... وهم يخشون التغيير لأسباب اقتصادية وطبقية » ص ١٤
أما أنهم هم الذين تخصصوا في اللغة وأدبها فهذا حق ، وأما أن تخصصهم حرمهم من دراسات بشرية عدة فهذا باطل ، ذلك أنهم يدرسون مع اللغة التي تخصصوا وحدهم في دراستها كما يقول الأستاذ ثقافات أخرى منها علم النفس والتربية والتاريخ والشريعة والمنطق والأدب ، والأدب المقارن والعربية والسريانية والإنجليزية والاقتصاد والاجتماع ... الخ الخ ... وقد درسوا في تجهيزية دار العلوم برنامج المدارس الثانوية وزادوا عليه التفسير والحديث والفقه . ولو اطلع الأستاذ على مناهجهم واستيعابهم لها وشغفهم بالبحث والدرس لغير رأيه ، أو لوجد من الخير له ألا يهاجم به إن كان له في الإصرار على الانتقاص الظالم أرب .

وأما أن المتخرجين في دار العلوم يخشون التغيير والتجديد لأسباب اقتصادية وطبقية فهذا افتراء وضغن ، فليسوا يبادون التجديد حرصاً على وظائفهم أن تزايدهم كما يزعم ؛ لأنهم دائماً في طلبية المجددين ، لكن على أن التجديد إصلاح وبناء ودعم ، لا اعتساف وثرثرة وهدم ، ثم هم قد درّسوا الرياضة والتاريخ والجغرافيا في مدارس المعلمين والمدارس الحرة فبرعوا ، واستحقوا تقدير الرؤساء ، ونالوا إعجاب الطلاب ، ولم يخطر لأفئدتهم أن يقاوم تجديداً في اللغة لأنه يؤثر صالحه كما يتهم عليهم الأستاذ ، وإلا فما بالهم يحددون في منهج دار العلوم ويستقدمون أساتذة ليسوا من أبنائها ؟ وما بالهم دعوا إلى إنشاء المجمع اللغوي منذ ثلاثين عاماً ؟

— ٨ —

ولم ينفذ بعد توجيهه على دار العلوم ، فيقول « ودار العلوم للمسلمين ، وهذه نظرة تربط بين اللغة والدين ... فاللغة عند زكي مبارك وابن عرب والحكومة المصرية ليست لغة الديمقراطية والأتومبيل والتلفزيون بل هي لغة القرآن وتقاليده العرب » . يخيل لي أن هذا مفتاح ضفته على دار العلوم ، فلماذا يختص بها المسلمون ؟ أليس في هذا حرص على اللغة العربية لأنها لغة الدين ؟
نعم دار العلوم للمسلمين ، لأن المسلمين ما زالوا يرون حفظ

تلايس مجتمعاً أرستقراطياً حريياً عقيدياً » ص ٧٧ ، « يجب أن تكون امتنا متمدة تنسج للتعبير عن نحو مئة وعشرين علماً وفناً لم يكن يعرفها العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا » ص ٢٠
أما أن لغتنا متخلفة عن ركب الحياة المصرية فهذا حق ، ولكن الوزر علينا ؛ لأن اللغة لا تنمى نفسها ، وإنما ينمىها المتكلمون بها ، وقد ركبت حياتنا أحقاباً طوالاً أزوينا فيها عن العالم التجدد ، فلما أقفنا وجدنا في لغتنا قصوراً عن بحارة الحياة المتجددة ، فعلينا أن ننمى بالاشتقاق أو التعريب

وأما اتهام اللغة بأنها وليدة مجتمع أرستقراطي حربي ديني فلم تعد سالحة لحياتنا — فجراً ودعوى باطلة ، فلم تكن الأمة الإسلامية في العصر العباسي الذي يقصده المؤلف أرستقراطية حربية دينية فحسب ، وإلا فبأية لغة ترجم المسلمون تراث اليونان والفرس والهنود والنبط ؟ أتتسع اللغة العربية للتعبير عن فلسفة أفلاطون وأرسطو والتعليق عليها وشرحها ثم تهتم بأنها لغة مجتمع أرستقراطي حربي ديني فحسب فليست سالحة لنا ؟ وبأية لغة ألف المسلمون في الفلسفة والجغرافيا والفلك والرياضة والمنطق والأخلاق والكيمياء والبلاغة الخ ... الخ

وبحسبي أن المؤلف قد ناقض نفسه بقوله : « إن اللغة خدمت المجتمع العباسي أجل خدمة ، وقامت بشئون حياته » ص ٧٥
ومن عجب أن يطالب بالناء كلمات الحرب من لغتنا ؛ لأن مجتمعنا سلمي ص ٧٧ فأى سلام هذا الذي يحلم به ؟ وأين اللغة التي تخلو من كلمات الحرب حتى نجرد لغتنا منها ؟ أو ليس من الحق أن تهتم اللغة بعد قرن إذا ما جردناها من كلمات الحرب بأنها كانت لغة قوم أذلاء مستضعفين ؟

— ٩ —

« وإذا كان اللورد هوردر الطبيب الإنجليزي ينصح لكليات الطب في بريطانيا بتدريس كتاب جيفوز في المنطق في السنة الأولى من الدراسة الطبية فإننا أخرج إلى مثل هذه النصيحة في دراسة اللغة العربية في كلية الآداب أو في دار العلوم » ص ١٦
والعجب من مؤلف يتصب قلبه للإصلاح المزعوم أو الوهم ثم يتجنى أو يففل ، كأنه لا يعلم أن المنطق القديم والحديث يدرس بدار العلوم دراسة تفوق الخلد التي يتطلبها الأستاذ .

الإجادة والسمو ولا تكون تلك الصفات إلا نور الحقيقة منبعثاً من مصباحها .

يعجب الناس رسوم رفايل بحق ، ولكن يجعل بهم ألا يعجبوا بها لذاتها أو لآثران خطوطها آثراً بارعاً ، وإنما يعجبون بما تنطوي عليه من المعاني . وأما محاسن هذه الرسوم وكل ما يدعو إلى الإعجاب بها فتتجسر في وداعة الروح وداعة حلوة رأسها عينا رفايل وسفرت معبرة عن نفسها على يديه ، وفي الحب الذي يفر نواحي نفسه والذي يفيض من قلبه على الطبيعة بأسرها .

ولقد حاول الكثيرون ممن تنقصهم روحه أن يستعيدوا موسيقية الخطوط والحالات التي صور عليها أشخاصه فلم ينتجوا إلا مقادير غثة لأعمال نابغة أورينز العظيم (١) .

وفي رسوم ميشيل أنجلو لا يعجب المرء بالطريقة التي انتهجها أو بالتقوى القوية أو بالتشريح البارع ، ولكن بقوة هذا الفنان الزاخرة . أما مقلدوه الذين تعوزهم روحه والذين نسخوا في لوحاتهم أوضاعه القوية الوطيدة ، وعضلاته المنتفخة ، فقد باءوا بالفشل ووضوا أنفسهم موضعاً كله شين وسخرية .

وإن ما يصح أن نعجب به من ألوان تيتيان Titian هو ما تقدمه لنا من المعاني لا بانسجامها القليل أو الكثير . فليس لألوانه جمال حقيقي إلا بما تتضمنه من سيادة جليظة شاملة . ويظهر الجمال الحقيقي لألوان فيرونيز في قدرتها على إبراز حفات النبلاء الرشيقة الأنيقة بألوان فضية موسيقية ساحرة .

وأما ألوان روبنز (Rubens) فلا قيمة لها في حد ذاتها ويكاد يكون جمالها التوهج هراء لولا انطباعها بطابع الحياة والبهجة والسرور والشمور القوى العميق .

ولا أظن أنه يوجد عمل فني واحد يرجع جماله إلى آثران خطوطه أو تهويل ألوانه فقط أو إلى أنه يسترعى العين وحدها . فخذ مثلاً النوافذ ذات الزجاج الملون التي يرجع عهدها إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر فعلى إذا ما سحرتنا بألوانها الزرقاء الخملية ، أو بحنان ألوانها البنفسجية ، أو بحرارة ألوانها الحمراء ، فما ذلك إلا لأن تلك الألوان تفتح عين سرور خفي أمل صانعه البردة الأبقية أن يحفظوا به في سماء أجلامهم . وإذا ما جاءت بعض

(١) رفايل ساتزبو ، وأرينز بلانته .

« حقاً إنها التفاصيل والدقائق الميتة الخالية من التعبير ، والحركة الزائفة المتكلفة هي التي تستهوي الجهال ونظرهم . فالعامة لا تستطيع أن تدرك كنه تعبير قوى لا يحفل بالدقائق والتفاصيل التي لا فائدة منها وبمبنى بحقيقة المجموع كله . نعم لا تستطيع السوقة أن تدرك شيئاً من تلك الملاحظات الصادقة التي تنأى بنفسها عن الأوضاع المسرحية المفتعلة والتي تعنى بأحوال الحياة الحقيقية البسيطة ذات الأثر البالغ في النفس

إن من الصعب تصحيح الأغلط الشائعة عن موضوع الرسم . فمن الخطأ البين أن يظن امرؤ أن الرسم جميل في حد ذاته . إنه ليس جميلاً إلا بما يعبر به عن الحقائق الصادقة وعن المشاعر العميقة . يعجب الجمهور بشانين يملكون ناصية فهم بلا مرء ولكنهم يزوقون وينمقون خطوطاً إنشائية خالية من الدلالة ، ويشتهون مرسومهم في أوضاع متكلفة غير طبيعية ، ولكنها تدفنية لأنها تشبه أوضاع المثل الإيطالية الذين يمرضون أنفسهم على أبواب المراسم . وهذا ما يسمى غالباً بالرسم الجميل ، وما هو في الحقيقة إلا « خفة يد » تعجب البلهاء الحق .

وفي الواقع يوجد رسم في الفن كما يوجد أسلوب في الأدب ، أي أن الرسم في الفن هو بمثابة الأسلوب في الأدب . فالأسلوب المزوق الذي يترك أثراً في النفس أسلوب رديء . وأما الأسلوب الجيد الرصين فهو الذي يستحق ويتوارى كما يوجه القاري كل اهتمامه إلى الموضوع الذي هو بصدده وإلى الماطفة المصورة .

فاللذان الذي يزوق رسومه والكاتب الذي يصبو لامتداح أسلوبه كلاهما كالجندي الذي يزين كسوته بالريش ولكنه يتهيب الذهاب إلى المعركة ، أو كالفلّاح الذي يشحذ ويمجّو سكة المحراث بدلاً من أن يقوم ويطح بها الأرض .

تد لا يخطر ببالك أن تمتدح الرسم أو الأسلوب ذا الجمال الصادق لأنك تؤخذ بأهمية كل ما يبرز عنه ، ومثل هذا يقال عن اللون أيضاً . وفي الواقع لا يوجد أسلوب جميل أو رسم جميل أو لون جميل ، وإنما يوجد جمال واحد فقط هو جمال الحقيقة السافرة المتجلية . فمعد ما يتمحصر عمل عظيم - أدياً كان أو فنياً - عن حقيقة جلية ، أو عن فكرة عميقة ، أو عن شعور قوى فياض فن البدهي أن يكون الأسلوب أو الرسم أو اللون بالفا مستغنى

كلها كاملة من الناحية الفنية ... فقلت له :

ألا يمكن مع هذا يا أستاذ أن تكون بعض الأعمال العظيمة الخالدة ناقصة من ناحية الصناعة الفنية ؟ ألم يقولوا مثلاً إن ألوان رفايل تغلب عليها الرداءة غالباً ، وإن رسم رامبراند لم يسلم من القمز والدر ؟ فقال :

صدقني إن هذا خطأ صراح . فإذا كانت قطع رفايل تسر النفس بما ذلك إلا لأن كل شيء فيها — من لون ورسم — يعد هذا السرور بعين . انظر إلى سان جورج الصغير باللوفر ، وإلى يارناسس بالفاتيكان ، وإلى رسوم السائر في سوث كينسجتون (South Kensington) ، انظر إلى كل هذه ترانسجام فيها ساحراً أخاذاً . نعم ، تختلف ألوان سائريو عن ألوان رامبراند ولكنها ثلاثم الهامه كل اللامه ، إنها صافية نقية كصناعة القوط . إنها تبدى انجازات مفرحة ، طلية زاهرة . إن لها شباب روافيل الخالد . إنها لا تبدو حقيقية ، وذلك لأن الحقيقة التي كان يراها نابغة أوريينو ليست حقيقة مادية خصب ، بل كانت ديباه دنيا شعور حيث تستحيل الأجسام والألوان بنور الحب . ولا غرو إذا قال أحد علاة الواقعيين بأن ألوانه غير صحيحة ، أما الشاعر فيراها صادقة .

ولو قورنت ألوان رامبراند أو روبنز برسم رفايل لبدت الأولى جافية بشعة ، ما في ذلك من شك .

ومع أن رسم رامبراند يختلف عن رسم رفايل فهو لا يقل عنه جودة . نخطوط رفايل حلوة نقية ، أما خطوط رامبراند فخشنة متعرجة . كانت تخيلة الفلمندي العظيم متأثرة بالتياب الخشنة ، والوجوه القظة الجمدة ، وبأيدي الطبقة الفقيرة المسجلة الدرنه . وما كان الجمال عنده إلا التباين بين حقارة الفلاف المادي الخارجي والإشعاع الروحي الداخلي . وإلا فكيف كان يتسنى له أن يعبر عن هذا الجمال المؤلف من بشاعة مادية ظاهرة ومن سمو نفسي رائع إذا ما حاول أن يجارى رفايل في أناقته ؟ ينبغي أن تدرك أن رسمه كامل متقن إلى أبعد حدود الكمال والإتقان لأنه يتفق تمام الاتفاق مع خليجات نفسه وأفكاره فقلت :

وعلى ذلك قد نفهم من قولك إنه من الخطأ الاعتقاد بأن الفنان لا يستطيع أن يكون بارعاً في فن الألوان ورساماً عظيماً في آن واحد

قطع القاشاني الفارسي المزينة بأزهار فيرورية اللون أية من آيات الألوان الساحرة المحبة بما ذلك إلا لأن ألوانها البديسة تحمل النفس إلى ما لا أدري من أودية الأحلام والخيال . وعلى ذلك فكل رسم وكل ألوان منسجمة تؤدي معنى بحيث لا يصبح لها جمال بدونه ... وهنا قاطعته قائلاً :

« ولكن ألا تخشى الخط من قيمة الصنعة في الفن ؟ »

ومن يقول لك باحتقارها أو بالإقلال من شأنها ؟ ليست الصنعة إلا وسيلة . ولن يبلغ الفنان الذي يهملها غايته التي هي التعبير عن الشهور والأفكار . ويكون مثل هذا الفنان مثل السائس الذي نسي أن يلف جواده الشعير .

ومما لا مشاحة فيه أنه إذا كان الرسم ضعيفاً ركيكاً واللون مزيفاً مسيخاً ، فلا يمكن والحالة هذه أن نجد أقوى العواطف سيلاً إلى الظهور والأفصاح . قد يمت التشرح الخاطي على الضحك على حين يرغب الفنان أن يكون جدّ مؤثر . ويرتكب اليوم كثير من أخطاء الفنانين هذا العيب الشائن ، ويخونهم ضعفهم وقصورهم في كل مناسبة لأنهم لم يدرسوا الدرس الكافي . قد تكون مقاصدهم سليمة ، وبياتهم حسنة ، ولكن ذراعاً قصيرة قصر أظاهراً ، أو ساقاً غير مستقيمة ، أو منظوراً مختلاً مشوهاً — كل ذلك من شأنه أن يجعل الرأي يصد عن رؤيتها ويشيح بوجهه عنها .

وقصارى القول لا يمكن أن يتنى الهام مفاجئ عن العمل الطويل الذي لا غنية عنه لا كساب العين القدرة على الإلام التام بالشكل والنسبة ، ولجعل اليد تنصاع لأوامر الشهور وتجري بحراه وعند ما أقول بأن الصنعة يجب أن تتناسى فلا أعنى أو يدور بخلدني قط أن الفنان يستطيع أن يزاوئ عمله من غير الإلمام بالعلم ، وأرى على النقيض من ذلك أن لا غنى له عن طريقة شاملة بخنى تحتها ما ييطن ويعلم . ولا غرو فإن أبرع رجال العالم في نظر السوق الجاهل هم بعض المشهورين الذين يرسمون بضعة خطوط شاذة ، أو يأتون بألوان شبيهة بالألوان النارية الدهشة ، أو هم الذين يكتبون جملاً طويلة منمقة حشوها الغريب من الألفاظ . ولكن الصعوبة كل الصعوبة ، وأساس الفن الصحيح هو أن ترسم أو تصور أو تكتب بسهولة وبساطة .

إنك تشاهد صورة أو تقرأ صحيفة فلا يستوقفك الرسم أو اللون أو الأسلوب ، ولكنك تشمر بالتأثير العميق في تفكك من غير أن تخشى الوقوع في غلطة ، فالرسم واللون والأسلوب

جمالا حيا له قوة وروعة ، وهدوء وسكون . أما ألوانهم فتقوى أحيانا حتى لكأنها أخذت من أشعة الشمس ، أو نخبو أحيانا أخرى فتبدو كأنها الهيد أو المتر الشفيف .

وعلى ذلك قد تختلف طرائق التعبير عند بوابغ الفنانين باختلاف نفوسهم . وبكاد يكون مستحيلا على المرء أن يقرر بأن رسم ولون فريق منهم أحسن أو أفضل من رسم ولون الفريق الآخر . فقلت :

— « إنى أدرك ذلك يا أستاذ ؛ ولكنى أراك لا تفكر لحظة فيما تسببه من الإخراج لجاعة النقاد الساكنين عند ما ترفض مبدأ تقسيم الفنانين إلى رسامين وملونين . ولكن يسرنى أن أفهم من قولك إن هناك طريقة جديدة لمن يرغب ذلك من صريدى التقسيم ، فأنت تقول إن الرسم واللون ليسا سوى وسيلة ، وإن روح الفنان هى المامل المهم الذى يعنينا . وعلى هذا يمكن أن نضع المصورين فى جماعات تختلف باختلاف أمرجته . فالبرخت دورر مثلا يقرن بهوليين ، لأن كليهما منطقي . ويضع رفايل وكوريجيو وأندريا دل سارتو الذين ذكرتهم فى قسم تغلب عليه العاطفة والحس ، ويأتى هؤلاء فى طليعة المحزوين الذين يشبهون بشعراء الرائي . ثم قسم آخر يشمل أولئك الفنانين الذين يننون بالوجود وبالحياة اليومية يكون من أقطابه الثالث المؤلف من روبنز وفيلاسكويرز ورمبراند . وأخيرا يؤلف بعض الفنانين أمثال كلود لورين وتيرز قسما رابعا ينظر إلى الطبيعة كأنها رؤى وضاعة آبهة » .

فانقسم رودان وقال :

« أرى أن لا داعى لمثل هذا التقسيم الذى قد يكون أقرب إلى الصواب والمدل من ذلك الذى يقسم الفنانين إلى رسامين وملونين . وعلى كل حال فإن أى تقسيم من هذا النوع مصيره إلى الفشل ، وذلك لتعقد الفن أو بالأحرى لاختلاف النفوس الإنسانية التى تتخذ لغة للتخاطب والتفاهم . وعلى ذلك فنالبا ما يكون رامبراند شاعرا ساميا ورفائيل واقعيا صرفا دعنا نروض أنفسنا على فهم عطاء الفنانين . دعنا نحبههم ، ولتقدمهم لتستلهمهم ونستوحهم ، ولكن فلنكف عن وضع بطاقات عليهم كتلك التى نضعها على العقاقير فى مخازن الأدوية

دكتور محمد بهجت

قسم البصريات

فقال : ما فى ذلك من شك . وأنا لا أدري والله كيف رسخت هذه الفكرة فى الأذهان إلى هذا الحد . فإذا كان عطاء الفنانين فصحاء بلقاء ، وإذا كان فى مقدورهم أن يملكوا أعنة نفوسنا ويذهبوا بنا كل مذهب ، فما ذلك إلا لأنهم يملكون كل وسائل التعبير التى تلتزمهم . لقد برهنت لك على ذلك من لحظة بحاثى رفايل ورامبراند . ويمكن تطبيق مثل هذه الأدلة على جميع عطاء الفنانين . فتلا أنهم البعض دلا كروا بجهله أصول الرسم ؛ أما الحقيقة فعلى النقيض من ذلك تماما ؛ فإن رسمه يمتشى تمشيا معجبا مع ألوانه . فهو مثلها وعمر متقطع ، محموم ، سام ، مترع بالحياة والمواطف القوية . وهو مثلها يمنح إلى النسل والجنون أحيانا وعند ذاك يبدو أجمل وأروع ما يكون ... إن الرسم واللون شيء واحد ولا يمكن أن يعجب بالواحد دون الآخر .

ولقد يقرر أنصاف النقاد بأنفسهم حينما يفرضون وجود ضرب واحد من الرسم فقط هو رسم رفايل أو حتى رسم من هم دونه من مقلديه أمثال دافيد وأنجر . وحقيقة الواقع أنه يوجد من ضروب الرسم والألوان بقدر ما يوجد من الفنانين .

يقال عن ألوان البرخت دورر (Albrecht Durer) إنها صلبة جافة ، وليست كذلك بتاتا . إن دورر جرمانى ، فهو يسم ولا يخصص ، وترى تراكيه الإنشائية محكمة مدعمة كالحقائق المنطقية ، وأشخاصه جامدة كما ينبى أن تكون . وهذا يفسر لنا دقة رسمه البالغة ، وكيف جاءت ألوانه مكبوتة محدودة .

« وينتمى هوليين (Holbein) إلى نفس المدرسة ، فليس لرسمه شيء من الرشاقة الفلورنتينية ، ولا للونه الجمال البندقي^(١) . ولكن لخطوطه وألوانه قوة ورسوخ ومعنى باطنى ، وهذه صفات قد لا تتوفر لأى مصور آخر .

ويمكن أن يقال إجمالا عن فنانين حريصين مدققين كمن ذكرت : إن رسمهم غير مرن وإن ألوانهم باردة جافة جفاف الحقائق الرياضية ؛ كما يمكن أن يقال على النقيض من ذلك عن البعض الآخر الذين هم شعراء الوجدان أمثال رفايل وكوريجيو (Corregio) وأندريا دل سارتو (Andrea del Sarto) إن خطوطهم أكثر طراوة وليونة ، وألوانهم أوفى رقة وجاذبية . أما فى غير هؤلاء ممن نسميهم « الواقعيين » أى أولئك الذين هم أقل عمقا فى الشعور والحين أمثال روبنز وفلاسكويرز ورمبراند فنرى أن لخطوطهم

(١) نسبة إلى مدينة البندقية

أغاني الرعاة . . . !

للهمزوم أبي الفاسم الساجي

أقبل المسح ينسج للحياة النعاسه
والري نغم في ظل النصوص المائسه
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسه
وتهدى النور في تلك الفجاج الدامسه
أقبل المسح حيلاً ! يعلأ الأفق مبهاه
تغطى الزهر والطير وأمواج المياه
قد أفاق العالم الحى ... وغنى للحياه
فأفنى يا خراق ! وامرعى لى يا شياء !

واتمنى يا شياهى بين أسراب الطيور
واملى الوادى ثناء ! ومراعاً وجور
واسمى همس السواق وانشق عطر الزهور
وانظري الوادى ينشيه الغباب المتير

واقطى من كلاً الأرض ومرعاه الجديد
واسمى شبايتى تشدو بمسول النشيد
نغم بصمد من قلبى كأنفاس الورد
ثم يسمو طائراً كالبلبل الشادى السميد

وإذا جئنا إلى الغاب وغطانا الشجر
فأقطى ما شئت من عشب وزهر وغمر
أرضته الشمس بالضوء وغذاه القمر
وارتوى من قطرات الطل في وقت السحر

وامرعى ما شئت في الوديان أو فوق القلال
واربضى في ظلها ما شئت إن خفت الكلال
واسمى الأعشاب والأفكار في صمت الظلال
واسمى الريح تننى في شماتىخ الجبال

إن في الغاب أزاهير وأعشاباً عذاب
ينشد النحل حولها أهزيجاً طراب
لم تدنس عطرها الطاهر أنفاس الذئاب

لا... ولاطاف بها التعلب في بعض الصحاب

وشذا حلواً وسحرأ وسلاماً وظلال
ونسيا ساحر الخطوه ! موقور الدلال
وغصوناً يرقص النور عليها والجمال
واحضراً أبدياً ليس تحجوه الليال

إن على ما خراق ! في حى الغاب الظليل
فزمان الغاب طمل لاعب عذب جميل
وزمان الناس شيخ عانس الوجه ثقيل
يتعشى في ملال فوق هاتيك السهول

لك في الغابات سرعوى ومعادى الجميل
ولى الإنشاد والغرف إلى وقت الأميل
فإذا طالت ظلال الكلا الغص الضئيل
فهلمى رجع السى إلى الحى النيل

في دار الإذاعة :

غريب . . .

لمؤسناز إبراهيم العريض

يا ابنة الحسن ! لا تقولى غريب
لم تكن غير نظرة ... تركتني
أغمض العين كي أراها بسمى
في فؤادى أحس وقع خطاها
ساءلتنى : أأت تشمر ؟ هلا
آه لى من هواك ! لو كنت عوداً
أنا من في الجبال غمر د حتى
قدك يا هند ! طاب عهدك لا
لم تكن غير بسمة عجلى عيناك في القلب سحرها بالفتات
ثم عدنا ... تحفك عن إلبالى بين أحلامها ... وبين ملاقى
أيها الليل ! ضم ما شئت عنى غير صوت يلم بى في أناة
صوت تلك التى يشاطى "تجنا"^(١) تتجنى ... عرفت فيها مهابى !

(١) اسم النهر الذى تنوم عليه العاصمة المندمة .

ألوان

لشاعر عبد الرحمن النحوي

بل بالك

وأفردتُ وحدي في الخضمّ ولقّني

ظلام من الأرزاء ليس يهون

فلا النّوج يطويني ولا النور مُسقى

ولا الشاطئ المجهولُ عنه يبين

سبحن

ثارت بنفسي حيرة السّامانِ رومتُ فؤادي في اللّظى أحزاني
 وودتُ لو أحظى بقلبي عابر في الليل أنزعُ نحوه فيراني
 ويرى الذي قد خطه من شقوتي إلى على وجهي المزيل الماني
 وأبشه حتفات قلبٍ راسفٍ في الحب والتعذيب والحرمان
 فلقد يُرجحُ النفس أن تُفشي الذي

في غورها من هاتف الأشجان

ولقد يُريحُ النفس أن يُصني إلى

صرخاتها قلبٌ وجيدٌ حاني

أواء من شجني الذي أبكاني وشئى على قلبي وفي أركاني

يا قُدّسه من لاجعٍ نيراني لم يُبقِ إلا صورة الإنسان

استوى الليلُ على عرش السماء؛ مُطفئاً فيها مصابيحَ الفضاء
 كافرّاً تقطُرُ من حلكته بالدجى حتى أعاصير الهواء
 سلطَ البردُ على أكتافه من سياط البرق تعذيب الشتاء
 والرياحُ الهوجُ من أفضاه أطلقتُ من قلبه بعض العناء
 يحمِلُ اللوعة في أغواره يجهبش الرعد بها كيف يشاء
 فتدوي قصة من فيه كلما اشتدت عليه البرحاء
 تترد الأمطار عن شقوته قصة الحزن لعناق البكاء

مبرة

بكسر مجداف ومادتُ بزورق أعاصير هوج كلهنّ جنون

لجنة النشر للجامعيين

تقدم

لمؤتاز عادل لامل

ملك من شعاع

الفائزة بأولى الجوائز في مباراة وزارة المعارف للقصة المصرية

تطلب من مكتبة مصر - الثمن ١٥ قرشاً

« لم يعرف العالم ديانة سامية كديانة أختانوت من
 قيل ، وهي التي مهدت لكل ديانات التوحيد التي أتت
 بعدها »

« إن لهذا الملك مركزاً ظاهراً ، وشخصية بارزة بين
 ملوك العالم على توالى العصور ، فهو أعظم الفراعنة فلسفة ،
 فضلاً عن أنه أول بشر في التاريخ ظهرت فيه روح
 الاستقلال الذاتي »

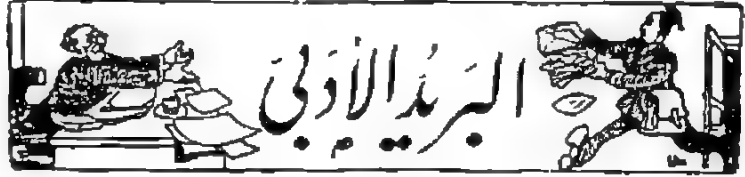
« برسيه »

كتبت عنها لجنة المباراة : « تمتاز من الناحية الفنية
 بأحكام الصناعة ، وحسن الحبكة ، ودقة التحليل ، وارتفاع
 مستوى التفكير في كثير من مواضعها »

قصة أختانوت ... المنزلة الغامض في تاريخ مصر أنبي
 أم عجنون ؟ !

لقد ثار عليه شبهة ولقبه بمحرم آتون ... وردد بعض
 المؤرخين هذه الصيحة فانسوا إليه المته والشذوذ ، في حين
 قال البعض الآخر :

ويطلب في الخارج من وكلائنا : في العراق . ولبنان . وسوريا . وفلسطين . والبحرين . وشرق الأردن



مول مخرج البحث عن تكوين الشعب المصري الجبرير

ليس من الحق أن ننكر ما بذله الأستاذ الشبال من الجهد في بحثه (تكوين الشعب المصري الجديد بعد الفتح العربي) في مجلة الثقافة من رجوع إلى المصادر العربية القديمة ومحاولة تسيق النقول المختلفة منها مع صحة الاستنباط وبراعة الاستنتاج ، بيد أن مضطر إلى القول بأن النهج الذي ابتدعه بموزة الترتيب وتنقيص المحاولة الدقيقة في البحث عن أصول هذا التكون وعوامله ومقدار التلون الذي أدخلته كلتا الشخصيتين العربية والمصرية على الأخرى . وإذا ما عدنا إلى مناهج الفريقين الباحثين عن أصول تكون الشعوب الأوروبية وجدناها تختلف عن منهجه اختلافًا قوى الأثر بعيد الخطر . ولا يصح أن يقال إن ظروف التكون التي أحاطت بهذه الشعوب تختلف عن الظروف التي أحاطت بتكون الشعب المصري العربي بعد الفتح ؛ فإن الأصول الأولى التي عرفت والتي كان لها أكبر الأثر في تكون هذه الشعوب ونمو شخصيتها الجديدة هي بينها الأصول التي عرفت عند العرب . وإذا ما جاز لنا أن نحاول مثل هذه الدراسات في البحث عن أصول الشعوب العربية الجديدة وتأثرها بمقومات الشعوب التي استعمرتها في الثقافة والدين واللغة والجنس فإن هذا يحتاج إلى منهج من نوع آخر ليس يكفي فيه تضيق النصوص العربية والوقوف عندها بالاستنتاج الحذر مما لا ياتي صراحة ولا يدلي بأسباب قوية عن هذا التكون.

ولقد حاول المؤرخون الإنجليز البحث عن أصول تكون الشعب الإنجليزى المختلفة المتماونة على تقويم حياة الشعب فكانت لهم من ذلك محاولات يصح أن ينتفع بها الدارسون لمثل هذه المحاولات في الشعوب العربية وآدابها . والأستاذ الشبال حين يبدأ أولى هذه المحاولات يقف عند المصادر العربية ووفقاً عجباً فلا يحفل بالبحث عن مقومات البيئة المصرية الأولى التي استعمرها العرب . ونحن نعلم مما وصل إلينا من البحوث الخائفة التي عولجت حول هذه البيئة من مؤرخي اليونان والرومان الذين رحلوا إلى الإسكندرية أو استقروا فيها شيئاً كثيراً يتصل ببعضه بالاديان المختلفة التي كانت تصطرع في هذه المدينة وبعضه بالآثار الأدبية المختلفة من

يونانية وقبطية وبعضه يتناول نواحي من التدين خاصة كالنصوف الذي تأثر به العرب فيما بعد والذي كان أصلاً من أصول الحياة الدينية المصرية القديمة (١) .

وإن الأفلاطونية الحديثة التي نشأت في مدينة الإسكندرية

كان لها أثر قوى في البحوث الدينية عند المسلمين فيما بعد . ولعل هذا يلفتنا إلى وجوب البحث الدقيق عن مسالك تأثر المسلمين بالثقافات اليونانية إذ ربما حول ذلك مجرى البحث الذي استقر في مثل هذه الموضوعات عندهم .

وإذا كان المؤرخون الإنجليز حاولوا شيئاً من هذا في دراساتهم الأدبية والتاريخية فأولى بنا أن نرجع أولاً إلى مثل هذه المحاولات قبل البدء في دراسة هذه الموضوعات . وبين يدي الآن مرجع من هذا الطراز Kistory of later Greek Literature by Wright يبحث فيه صاحبه ما تردد في الإسكندرية من ألوان الثقافات المختلفة التي كان لها أكبر الأثر في تكوين الشعب المصري الجديد . ولا يقف في سبيلنا ما لا يزال موضعاً للدراسة مما يروى من إحراق مكتبة الإسكندرية على يد عمرو بن العاص بأمر عمر فإن تأثر العرب بالثقافات القديمة في مصر لا يتركز فقط على التحف والمكتبة وإنما يمتد على أشياء أخرى تظهر لمن خصص نفسه لمعالجة مثل هذه الدراسات برفق ولين وأناة .

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد لجأت إلى الإسكندرية بعد ما لاقى من ألوان الاضطهاد والأذى في الغرب فوجدت فيها حياة آمنة وأفقاً طليقاً يلائم الفلسفة والتفلسف فأجدر بنا ألا نقف عند هذه المحاولات بل ينبغي أن يمتد ذلك إلى تعرف آثارها في الحياة العربية الإسلامية المصرية فيما بعد .

وإذا كان القرطبي في خطه يصف سكان مصر فيقول : « وهم أخلاط مختلفة من الفرس والروم والعجم والبربر » ولكل من هذه الأخلاط مقومات مميزة انصهرت انصهاراً عجيباً في البيئة المصرية فإن البحث عن أصول هذا الشعب ينبغي أن يتناول هذه الأخلاط المتباينة في الجنس والثقافة والدين .

وسواء أكان العرب الذين استقروا في مصر قيعيين أم عنيين فإنهم وافدون من جزيرة العرب ذات المقومات الخاصة في الدين واللغة والجنس ، ونحن نعرف من تاريخهم أكثر مما نعرف من تاريخ القبط والروم والفرس والبربر ؛ فلان اتجاه إلى بحث الجنس العربي وحده اتجاه يسير الجدوى قليل الأثر .

(١) انظر ترجمة ذي النون في حلية الأولياء لأبي نعيم .

ما بالهم لم تهز مشاعرهم هذه الحوارات الفظيعة التي تركتها فرنسا ؟
أيها الشراء ، سجلوا مفاخر قومكم قبل أن تسجلوا مفاخر
أعدائكم ، وابكوا على معائبكم قبل أن تتوحوا على مصائب
الناس وأسمونا أصواتكم .
على محمد حسن

تصويب أخطاء في العدد الماضي

في الصفحة الأولى من العمود الثاني في السطر ١٧ : هيات
ألا يبعث ، والصواب لا يبعث
في الصفحة ٦٢٠ العمود الأول السطر الرابع اللواتي والصواب اللواتي
» » » » الثاني السطر ٢١ أيها » أيها
» » ٦٢٢ » الأول السطر ١٣ من مائة » بعد مائة
» » ٦٢٥ » » العاشر بعد الهجرة » بعد الميلاد

مهريرة الأتزار

أصدرت جريدة الأنداز التي يصدرها أسبوعياً بالبنيا الأستاذ صادق
سلامه عدداً ممتازاً في ٣٢ ص بمنااسبة دخوله في سنّها السادسة عشرة
وهو عدد حافل بالطرائف الأدبية والآراء القيمة لنخبة من رجال العلم
والأدب والسياسة فمرجو للزميلة دوام التوفيق وإطرايد التقدم

ظهرت الطبعة الثانية من :

فلسفة الأخلاق في الإسلام

وصلاتها بالفلسفة الآفريقية

للمؤسّس محمد يوسف مرسى

الكتاب الأول في فلسفة الأخلاق المقارنة ، فكان
حديثاً ملحوظاً في الإنتاج الفلسفي المعاصر ، وفيه الرأي
الحق الصريح في فلسفة الغزالي وابن عربي وغيرها من
مفكرى الإسلام .

التمن ٢٥ قرشاً والبريد ٥٣ ملياً

الناسخ

دار الكتب الأهلية

ميدان الأوبرا بمصر تليفون ٤٩٥٦١

وإني أرجو أن يتعاون الباحثون عن تكون الشعب المصري
الجديد تعاوناً يستند على أصول دقيقة من البحث العلمي حتى تقوم
دراسة الأدب العربي المصري على أسس صحيحة من البحث
المتج السليم .
السيد مهليل

طباعية ولا طبيعية ولا طبيعية :

قال الإمام العالم الأديب أبو حيان التوحيدي في المقابلة
الثانية والمشرين فيما بين المنطق والنحو من المناسبة ص ١٧٢
من كتاب المقابسات - وشهادة النحو طباعية ، وشهادة
المنطق عقلية - فنسب إلى طبايع ولم ينسب إلى طبيعة ، وعجز
بذلك المشكلة القائمة الآن في النسب إليها ، وقد جاء في القاموس :
الطَّبِيعُ والطبيعة والطبايع ككتاب السجدة جبل عليها الإنسان
أو الطبايع ككتاب ماركب فينا من الطعام والمشرى وغير ذلك
من الأخلاق التي لا تزالنا ، كالتطبيع كصاحب

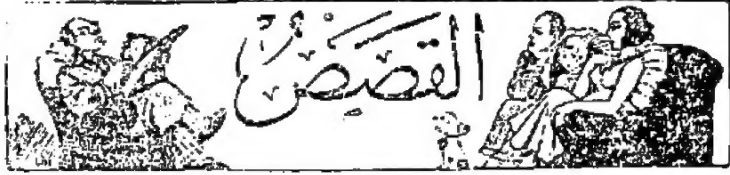
فهل لنا أن نقول ذلك الإمام الجليل في تلك النسبة ، ونقول
في هذا المعنى - طباعية وطبايعي - ولا نقول طبيعي ولا طبيعى ؟
لأن النسبة الأولى تخالف القياس في المنسوب إلى ما يكون على قِعية
والنسبة الثانية تلتبس بالنسبة إلى طبايع بفتح الطاء والباء ،
وهو الصدا والدنس ، ولا شك أن مثل هذا الالتباس له حكمه
في اللغة ، وقد أوجب دفعه كثيراً من أحكام النحو .

عبد المتعال المصري

أين شعرنا ؟

رحم الله (شوقي) و (حافظ) إني كلما جد حادث في مصر
أو في الشرق ، تذكرت هذين الشاعرين فسكنت عليهما الدموع ،
ولعلهما نوحاً إلى إيماننا هذه لقراءتهما القصائد الجياد في هذه
الأحداث التي نعيشها . ولكنهما ماتا ، ولم يصدق الشاعر حين قال :
قالوا خلت مصر بعد الشاعرين ولم

يعمر بمثلهم ميدانه الخالي
ولست وجدت له في مصر بعدهما قصر ملأ بأشباهي وأمثالي
نعم وجد هذا الشاعر سعة في مجال الفخر ولكنه لم يجد لها
في مجال الشعر ، وإلا فإن أشباهه وأمثاله ؟ أين هؤلاء الذين
ملأوا الصحف بالأمس ليكون (باريس) أين هم اليوم ليكونوا
« دمشق » و « حلب » و « حماة » ؟ ضلة هؤلاء الفتون بفرنسا
وضلالات فرنسا ، أنرام سكنوا الآن لأنهم يحبون فرنسا أكثر
من حبهم « سوريا » و « لبنان » إنما تعرفهم عن ذلك ، ولكن



الدميم (٥) ... الأستاذ حبيب الزحلاوي

— ١ —

ما كنت أبتد بصفة أستاذ عن القصة حيث كنت جالساً مع طائفة من أصدقائي حتى شعرت بقبضة يد رقيقة تستمليني . التفت فראيت واحداً من أولئك الأصدقاء الجلاس ، فلهجت في نظراته شبه استعطاف ، فقال لي بلهجة لا تخلو نبراتها من قوة : أريد أن أسألك بشرط أن تجيبني بصراحة ، ما هي عقدة القصة ؟ وما هي الحكمة ؟ ما هو المرض والفكرة والوحدة التي تكلمت عنها فقلت إنها عناصر حيوية للقصة ؟ أنا يا سديقي أحسن كتابة القصة ، أو بمباراة أخرى أحسن خلقها فوراً ، وأبتدع وقائلها وأشخاصها ابتداءً ، وأجذب السمع إلى الانتباه إلى ، ولا أتركه إلا بعد أن أشبعه وأنتعه بلذات من الخيال المذوق ، والتلفيق الموشى بألوان من حسن الكلام . أليس هذا هو الفن ؟ ! واستطرد قائلاً : مادام الأمر كما ذكرت لك ، وأزعج أني ذكرت الحقيقة الواضحة عن البناء الفني ، فإني إذن المقدمة ، والحكمة ، والمرض والفكرة والوحدة التي تكلمت عنها ، وأحسب أني فهمت من مجمل كلامك أن لا قيمة للقصة الخالية من هذه الخصائص ؟ فهل هذا صحيح ؟

أعجبني رؤية مسحة الطفولة تكسو وجه هذا الشاب ورفقت به وبأسأله ممن يتنالبون في الآداب والفنون ويستهيون بها كلها سهلة التناول فقلت :

تعال معي إلى النادي فهناك أستمع إليك بانتباه وأجيبك إلى طلبك عن رضى .

قال : في الجلوس في المقهى متعة للنظر لا وجود لها في الأندية .

قلت : ليس بي ميل إلى إشغال الذهن بمراقبة المارة ، وليس

(٥) من مجموعة قلب مبشر (تحت الطبع)

في ذلك الطمأ إلى المرأة الذي يتأبى أمم يا جلاس المقهى قال : نحن على غير مذهبك الفردى يا صاحبي ، نحن جلاس الأناير ، رواد المقهى ، نشور جوعاً ، نتلهم على لفتة من فتاة ، أو نظرة من امرأة ، ألا نحس مثلاً بالمجاعة الجنسية وقد طافت واستعصى أمرها على وزارة الشؤون الاجتماعية ؟

اقتسمت الكلام هذا الشاب المتحمس ، فأخذته من يده فشئى معي ، فلما دخلنا الصعد الذي سيرتفع بنا إلى الدور العاشر من البناء قال : انت مضر على الجلوس في النادي وكثر الكهول والشيوخ من أرباب المال ؟ حسن ، سأجلس معك في هذا النادي المرتفع المترفع عن الناس ، وأقص عليك قصة من صميم الواقع ، وأنا قين بأنك ستشهد لي ببراعة الارتجال ، وبأن القصة هي القصة ، أعني أن المقدمة والحكمة ، والفكرة والوحدة ، إن هي إلا احتمالات ، أما إذا كانت شيئاً غير ذلك فستدلى عليه .

اقتسمت أيضاً لهذا الإبداء الجديد الذي يمثل ادعاءات الشبان وهم يتوهمون الأمور وفق أمزجتهم الرخوة لا وفق الواجب في معرفة الأصول ، وقلت لصاحبي بعد أن انتحينا ناحية في النادي مزدانة بأصص من الزرع دائمة النظارة الريبية ، يحسن أن تجلس هنا فتقص على قصة شعرية يرجملها خيالك الخصب وينزعها من صميم الواقع كما قلت .

أرجو ألا تهزأ بي . أستمع إلى :

« وضعت حقائبي في المكان المد لها ، وجلست على المقعد الذي احتجزته في عربة القطار ، ثم التفت لأرى رفاق الطريق الذي سأقطعهم بمرحلة واحدة من مرسيليا إلى باريس ، فلفت سيدة تتألق نضارة وشباباً ، وضاحة الحيايادية الفتنة وسمعتها تقول للرجل الجالس إلى جانبي : ألم أقل لك إنه غير فرنسي ، إذ لو كان فرنسياً لكان حياناً بإشارة بسيطة ساعة دخوله ، ولما كان ألهاء المودعون ولا المشاغل الذهنية عن أداء التحية الواجبة » .

وسمعت يقول لها : لم لا تقيمين للتقاليد والمادات اعتباراً ؟ لا ذا تفرضين على غير الفرنسيين الأخذ بعاداتكم وتقاليدكم ، وقد تكون هذه التقاليد التي تريها حميدة عندهم مسهجة عند بعض

ما يؤذى إباء النفس ، بل كرفيق الطريق الذى يحرص على إبقاء
أطيب أثر فى نفوس رفاقه ؟

هاك بدى . أما أما قدام « فرانس » ومدينى هذا مستر
« أميركا » وأنت يا صديقنا على هذا القياس من تكون ؟
رطب شفتى بقبلة من يدها البضة وقلت متابعا على النوال
نفسه : أنا يا سيدنى مستر « إيجبت » .

إيجبت ... إيجبت ! رددت السيدة كلمة إيجبت وهى تلفظها
ممطوطة ممدودة بمؤدة كأنها تعود بذكرياتها آلاف السنين إلى
الوراء تشرع بلحمة واحدة آثار الماضي السحيق الباقية على
الدهر وتقول : انت إذن مصرى ؟ !

نعم يا سيدنى أنا مصرى من سكان القاهرة ، وانت فرنسية
فقاطعتنى قائلة : « فرنسية-باريسية » وصديقنا أميركى من
واشنطن أو نيويورك وليس قطعاً من هوليود . وهما نحن الثلاثة
نمثل ثلاثاً من قارات عالمنا ، ونمثل أيضاً أعرق مدنية عرفها
التاريخ القديم وهى تتوئب الآن للعودة إلى الحياة ، وأعرق مدنية
حديثة ستغلب عليها مدنية أحدث منها ، ومدنية جديدة فى العالم
الجديد قد يكون لها طابع خاص سوف يتحول بسرعة إلى طابع
بعم العالم ، وأردفت كأنها تتدارك قوافى فرسية : نعم نعم سيكون
الدولار طابع أميركا الخاص كما يحاول الروس أن يجعلوا الاقتصاد
أساساً لنظام العالم الاجتماعى الجديد . قالت السيدة كلمتها عن الدولار.
ونحكت نكتة عالية لها رنة الأوتار المزنة والنغمات الرقيقة .

قلت : العالم يا سيدنى لا يقوى على السير فى نظام اقتصادى محض
بل يستحيل عليه الضى فى طريق السعادة البشرية بفرد واقع الروح
هذا صحيح يا مستر إيجبت ولكنى لاحظ أن مدام فرانس
تتحدثنى فى كل ما أقول ، فإذا كان ذلك يذكرك يا سيدنى فلا أمانع
أنا الأميركيانى فى تقرير الدولار طابعاً لبلادى وهو بالفعل الإله الذهبى
الموحى إلى كل الناس كل الرغبات والشهوات .

المرأة يا مستر أميركا ، أرجوك ألا تنسى المرأة ، بل أحتم
عليك عدم نسيانها لأنها الروح الذى تكلم عنه مستر إيجبت
ولأنها وحدها الموحى لكل الناس كل الرغبات والشهوات
— على حد تعريفك أنت — بل هى وحدها موحية الحياة والحب
لو كل النساء كن مثلك يا سيدنى لما ترددت فى الاعتراف
بذلك ولكن ...

دع يا مستر أميركا قرض المديح ونظم الثناء والإطراء لأنها
من طبائنا الأصيلة التى لم تفتسوها عنا بعد ، وإنها وإن كانت

الأقوام ، وربما كانت مستفحجة عند أقوام آخرين أمثال الإنجليز
مثلاً الذين يحميون من لا يعرفون مهما كانت الظروف والمناسبات .
فهمت من لهجة الرجل ومن قلمات وجهه ولون بشرته أنه
أميركى يحسن التعبير عن خواطره باللغة الفرنسية وكان يلفظها صحيحة
ولكن ببطء ممض أوجع نفس السيدة الفرنسية الجياشة ،
وأدركت أن مدار الحديث يدور حولى لأنى أخذت مكانى فى
عربة القطار ولم أحي من فيها ساعة دخولى !

هل أدخل فى القضية طرفاً ثالثاً على حد تعبير المحامين ، وهى
قضية خاصة بى برغم قيامها بين السيدة الفرنسية والشاب
الأميركى ، أو أزم الصمت وأحترم سجية نفسى وعادات قوى
وأسكت عن الكلام مع من لا معرفة لى به . أليس فى ذلك تطفل
أو تحط للعرف ؟ أو ليس هو وسيلة سهلة مؤدية إلى التعرف
بهذه السيدة الجلية المغرية ؟ أو ليس فى ذلك فائدة للوصول إلى
ناس يطيب لى أن أحدهم عن قوى وبلادى وقد لا يعرفون عنهم
شيئاً أو يعرفون ما تنقله لهم اللطافة المغرصة ، والفكر الاستعمارى
وجهاً لبعض الكتاب الطائشين ؟

جالت هذه الخواطر فى ذهنى والسيدة والرجل ما زالا
يتحاوران ويتناقشان . هى تصر على أن عادات قومها مرتكزة
على قواعد آداب الاجتماع وهو ينكر أن للآداب الاجتماعية قواعد
ثابتة ، هى تقول إن قواعد الفن والنق ، وهو يقرر أيضاً
أن مبادئ الفن هى معارض النحت والتصوير ودور التمثيل
وبعض دواوين الشعراء وكتب الأدباء والروائيين ، وأن النوق
مسألة فردية وإحساس ذاتى . هى تقضب من تعمد إهمال ذكر
المرأة فى أنها الفن كله باعتبار أنها الباعث الأول على استفزاز
ملكات الفن والإلهام الفنى ، وهو ينكر عليها بعض دغواها
ويؤيد بعضها ويقول : إن المرأة موحية حافزة ، وليست هى
بشئ فى صميم الفن ! هى تصرخ قائلة : إنكم معاشر الأميركيان
لا تغدقون الحياة إلا عن طريق الدولار ! وإنكم ... وإنهم عبدة
الدولار فقط . أليس كذلك يا مسيو ؟ والتفتت لى تدخلنى
فى هذا الجدال . كاد يرفج على لحن فاجأتنى بسؤالها وهو استجداد
بى أكثر منه سؤالاً ، ولكنى تماكنت نفسى وقلت :

إخال أنى كنت السبب فى هذا الحوار الذى بلغ بكما إلى هذه
النتيجة ، فهل تسمح لى سيدنى أولاً أن أحيها وقد آليت على
نفسى مجازاة الفرنسيين وتقليدهم ما دمت فى بلادهم ثم أدخل
فى الحوار ، لا كفضولى متطفل قد تعرضته صفاته إلى سماع

دوى رنين الجرس يدعو الراغبين فى الطعام من ركاب الدرجة الأولى إلى تناول العشاء ... وكان الكلام حثاً لمدام فرانس التى أسرت أحد النذل (جارسون) بتهينة مائدة لثلاثة أشخاص ... فكان طعام وكان شراب ، بل كان شراب وطعام وكلام وشعر وتوريات ورموز وتلميحات ومقارنة بين المرأة المصرية وأختها الفرنسية والأميركية ، وكادت تضطرم ثورة مدام فرانس لتوهما أن أختها المصرية أوفر براعة منها فى إرضاء الرجل ...

عدنا إلى مقاعدنا وقد أذبل الشراب أجفاننا ، وأخذ قوة النضال الكلامى فينا ، وأذكرى بطبيعة الحال قوة النظر الطويل والإعجاب الذى لا حد له والافتتان بهذه المرأة الملوءة حيوية وجالا ونضارة وسجراً والممددة أمامنا على مقعد عربية سكة الحديد محاول النوم على هدير القاطرة وصغيرها وقرعة العربات .

لقد أحييت الليل ورفيقى الأميركى تتحدث همساً حتى لازعج السيدة الناعمة ، وكان طبيعياً أن يختلف فى رأى وأن تتجاوز وتتجادل ثم تعود إلى صفائنا الأول ، وكان بديهياً ، بحكم الرغبة الكامنة ألا يختلف أبداً وأن تتفق اتفاقاً تاماً على ألا نعيد النظاء كما سقط عن جسم هذه المرأة الفاتنة المتناومة ، وكان عذاباً على سماعتنا قولها : يا لكما من شاين شقيين !

سكت محدثى مرة ثانية فلم أدعه يتمهل بل قلت له بنبرة جافة : ثم ماذا ؟ صدمه سؤالى وكاد يتخاذل ولكنه تجلد وقال : طلع الفجر ، ثم تفجرت أشعة الشمس ، وانجلى عروس برة فرنسا بشوبها الزيرجى النضر . وبلغنا باريس فافترقت القارات الثلاث ، وراح مستر أميركا ومستر إيجبت كل فى طريقه ، وراحت مدام فرانس تنثر القبلات وتنقبل القبل من مستقبلها على إفريز المحطة ربت كتف محدثى وقلت له ببشاشة أذهبت وقع الصدمة

الألمية التى صدمته بها عند سؤالى إياه تنمة القصة بقول : « ثم ماذا » ليست قيمة القصة يا صاحبي فى المادة التى تتألف منها ، ولا فى كيفية ترتيب تلك المادة ، بل قيمتها فى الكيفية التى تؤدى بها وفى عرضها عرضاً خاصاً بمهارة فنية ، بالتشويق والترغيب ، فى صدق الرواية عن الحياة ، مضافاً إليها الخصائص الفنية التى ذكرتها فى حديثى مع رفاق المقهى ، أما قصتك المربجلة هذه فإنها تتماثل حكاية واقعية وقعت لى حين رحلت إلى جزيرة رودس التى انتزعها الطليان من الدولة العثمانية مع بقية جزر الدوديكانيز .

قال : أترجل قصتك أرتجالاً ؟ فابتسمت لسؤال هذا الشاب وقلت

صبيب الزمهرى

يتبع

ترضى غرور المرأة وتدغدغ زهوها ولكنها لا تقوم مقام الحقيقة التى لا يحصى عن الاعتراف والجهر بها وهى « أن المرأة هى الإله الوحيد النوحى إلى كل الناس معنى الحياة والحب ، ولذة الوجود والفرح به على الأرض ، ولذة الألم والحزن أيضاً » .

قال مستر أميركا موجهاً إلى السؤال : هل تعترفون بألوهية المرأة فى مصر ، وبأنها مصدر إلهام يوحى إلى الناس معانى الحياة كما قالت مدام فرانس ؟

بلنت ريقى وتكلفت ابتسامة رضى وقلت : ليتك يا مستر أميركا تضع السؤال فى الصيغة التالية : هل بلنت المرأة الأميركية درجة من الرقى سمحت بها إلى مقام جعل الرجل يتطلع إليها فيه كما تتطلع كلنا إلى المرأة الأوروبية باعتبار أنها الملهم معانى الحياة والدافع إلى الشعور بالفرح بها ؟

لقد نجحت فى تحويل الدفة ، كما يقال فى تعبير النوتية ، وفى رفع الأثقال عن كتف المرأة المصرية والرجل المصرى ، وفى إزاحة الألم عن نفسى من قول الحق ، وقد أفلحت فى ذلك ، إذ ما كدت أنتهى من تحريف السؤال وتوجيهه إلى مستر أميركا حتى انبرت مدام فرانس تقول : تخولنى معلوماتى حق القول بأن المرأة الأميركية أخذت تدرك قدر نفسها وستنجح فى صيرورة ذاتها مصدر حياة أفضل فى روح الرجل الأميركي من الدولار .

ما كادت تنتهى مدام فرانس من قولها حتى رايتنى مدفوعاً إلى الكلام فقلت معقياً :

سوف تصير المرأة المصرية ذاتها مصدراً للإلهام الرجل وإذكا ، روحه متى خلعت من شوائب الطفرة وبعد أن ترغها الآلام على التفكير فى ماضيها ومستقبلها بالقياس إلى حاضرها المضطرم بيران الانتقال .

صحيح ما رمزت إليه بلباقة يا مستر إيجبت عن المرأة أنها فى طور الانتقال الذى يعقب الانقلاب الاجتماعى ، ويمكننى القول إن بواكير الانقلابات تكون من النساء وفى النساء كما تكون بواكر الثورات وطلانها من شرارات يقدها طلاب الجامعات بإيجاء غير مباشر من أرواح بقطة عاملة هادئة .

سبكت محدثى الشاب وكاد يطول سكوته ولكنه رفع رأسه ونظر إلى نظرة استفهام واضحة ، فقلت له ببرود : ثم ماذا ؟

ماذا ؟ ! نعم نعم ، كدت أظن أنى أنهيت القصة ولكنى نسيت فصلها الثانى .